الجمـــــــهورية الجزائرية الديمقراطـــية الشـــــــعبية
وزارة التعـــــــــليم العالي و البحث العـــلمي
المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي– تيـسمسيلت–
معهـــــــد الآداب و اللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي موسومة بـــ:

الأفعال الكلامية في القرآن الكريم
دراسة تداولية
"سورة البقرة نموذجا"

إعداد:

❖ عبديـــش الزهـرة
❖ عبديـــش فتيـحة

إشراف الأستاذ:

• بوعـرعـارة محمـد

السنة الجامعية:

1436 – 1437 هـ / 2015 – 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نتوجه بالشكر لله سبحانه وتعالى على توفيقه لنا في إنجاز هذا العمل، وإلى والدينا الكريمين على دعمهما الدائم لنا، كما نتقدم بعظيم الشكر إلى الأستاذ المشرف والغالي على قلوبنا محمد بوعرعارة على وقوفه بجانبنا طيلة مشوارنا الدراسي،كما لا ننسى كل من قدّم لنا الدعم من أصدقاء وأساتذة ونذكر منهم: "محمد يونسي"، "خلف الله بن علي"، "بومسحة العربي"، "رزايقية محمود"، "غربي البكاي." "قاسم قادة"

إهـــــــــداء

إلى من صنعت بسمتنا ومسحت دمعتنا

وجرت أدمعها لتصنع فرحتنا.

إلى مهجة قلبينا ونور مقلتينا إلى قدوتنا:

أمي أطال الله عمرها.

إلى الذي علّمنا وربّانا والدنا الغالي أطال

الله عمره.

إلى الإخوة والأخوات والأحفاد.

إلى جميع الأساتذة وخاصة بوعرعارة محمد.

كما لا ننسى الأصدقاء وكل من ساعدنا في

هذا العمل.

نبيلة

حنان

السورة	الآيـــــــة	رقمها	الصفحة
القصص	﴿ ...ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ...﴾	24	12
	﴿ ...يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ...الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾	27	12
الأعراف	﴿...وَلا يَدخُلونَ الجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ...﴾	41	13
الأنبياء	﴿ قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إِبراهيمُ ﴿٦٢﴾	62	45
المنافقون	﴿إِذَا جَاءَكَ ... لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾	1	53
مريم	﴿ فَكُلي ...اليَومَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾	26	56
قريش	﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾	03	56
النساء	﴿... و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا... ﴾	36	56
يونس	﴿ وَيَستَنبِئونَكَ أَحَقٌّ هُوَ...﴾	53	58
الأنعام	﴿ ...وَآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ...﴾	141	66
الزمر	﴿ ...وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ... ﴾	67	66
	﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ... ﴾	15	74
الجمعة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ... الَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾	09	68،67
فصلت	﴿... اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ...﴾	40	68
عبس	﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴿٣١﴾	31	69
لإسراء	﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إِلى غَسَقِ اللَّيلِ... ﴾	78	73
المائدة	﴿... وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا... ﴾	02	73
	﴿...لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ... ﴾	95	74
هود	﴿ مِن دونِهِ فَكيدوني جَميعًا ثُمَّ لا تُنظِرونِ ﴿٥٥﴾	55	74
البقرة	﴿ الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾	2،1	78
	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ .... وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾	5،4،3	79
	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ...عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾	7،6	80

	﴿وَمِنَ النَّاسِ ... وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾	08	81
	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ ...وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾	09	81
	فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ...بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾	10	81
	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ...نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾	11	81
	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ... لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾	13	82
	﴿ وَإِذَا لَقُوا ... مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾	14	82
	﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾	15	82
	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ ...وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴿١٦﴾	16	82
	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ... فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾	18،17	82
	﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ...كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾	20،19	83
	﴿ الَّذِي جَعَلَ ... تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾	22	84
	﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ ... هُمُ الْخَاسِرُونَ﴿٢٧﴾	27	84
	﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ ... هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾	35 إلى 39.	84
	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ...وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾	50 ،49	85
	﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا ... تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾	53،51	85
	﴿و إِذْ قَالَ مُوسَى ....التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾	54	86
	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا ... أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾	57،55	86
	﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا ... يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾	59،58	86
	﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى ...فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾	60	87
	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى ...وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿٦١﴾	61	87
	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ...هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾	62	88
	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا ...وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾	64 ،63	88
	﴿ ثمَّ قَسَتْ ...يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾	77،74	88، 89
	﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ ...فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾	82،78	89

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ ...أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾	84،83	90	
﴿ ثُمَّ أَنتُمْ ...وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾	86،85	90	
﴿ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ...وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾	87	91	
﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ ...نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾	107 ،106	91	
﴿ إِنَّ الَّذِينَ ...لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾	176 ،174	92	
﴿لَّيْسَ الْبِرَّ ...وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾	177	93	
﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً ...صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾	213	94	
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ...الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾	255	95	
﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي ...فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾	257،256	96	
﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ ...الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٢٨٦﴾	286،284	97	
﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى ...آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾	73،67	99	
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾	252 ،246	101	
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ...الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾	258	102	
أَوْ كَالَّذِي مَرَّ ...كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾	259	103	
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا ...لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾	21	104	
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي ...كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾	23	105	
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ...أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾	24	105	
﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا ... وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾	25	105	
﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ...وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾	41،40	106	
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ ...مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾	43،42	106	
:﴿ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ ... إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾	46،44	106	
﴿... وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ ...يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾	102	107	
﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن ...ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾	108	107	
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ ... فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾	278	108	

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ ...لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿١٨٧﴾	187	109	
﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم ...وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١٨٨﴾	188	110	
﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ ...يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾	194، 195	111	
﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ ...شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾	196	112	
﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ...وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾	197،220	113	
﴿ يَسْأَلُونَكَ ...فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾	215	114	
﴿ يَسْأَلُونَكَ ...حَكِيمٌ﴿٢٢٠﴾	219،220	115	
﴿ وَلَا تَنكِحُوا ... يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾	221	116	
﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ... تَعْلَمُونَ﴿٢٣٢﴾	232	117	
﴿ وَالْوَالِدَاتُ ... تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾	236، 237	117	
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ... الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾	254	118	
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ... وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾	277،281	119	
﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ .. بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾	19	120	
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾	174	120	
﴿...وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ ... الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ...﴾	231	121	
﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ....غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾	225	121	
﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ... ﴾	28	121	
﴿...قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾	30	121	
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ ...بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾	96	122	
﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا ... بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾	174، 175	122	
﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ... ﴾	271	123	
﴿ خَتَمَ اللَّهُ ... عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾	07	123	
﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا ...لِّلْكَافِرِينَ﴿٩٨﴾	97، 98	124	

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ...تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾	110	124	
﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ ...عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾	144	125	
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ ...عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾	174	125	
﴿ فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ ... اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾	209	126	
﴿...وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ... ﴾	220	126	
﴿...وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ ... بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾	237	126	
﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ .... بِهِ اللَّهُ... ﴾	284	126	
﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ ... مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ...﴾	213	127	
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ ... الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾	180	128	
﴿... فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ...﴾	283	128	
﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... ﴾	275	128	
﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ... ﴾	194	128	
﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾	228	129	
﴿... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾	117	129	
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ...﴾	28	45	

مقدمـــة:

تعتبر اللغة الآداة الفاعلة في تحقيق أغراض متعددة كالتعبير عن الأفكار والأحاسيس والمعتقدات والتأثير في الغير بإقناعه أو ترغيبه أو ترهيبه أو مجرد إخباره بواقعة ما، إلاّ أنّ هذه الأغراض وإن تعددت واختلفت من حيث طبيعتها آوية إلى وظيفة واحدة هي تحقيق التواصل بين أفراد مجتمع ما، ومن المعلوم أنّ التواصل يمكن أن يتم عبر قنوات أخرى كالإشارة والصورة، إلاّ أنّ هذا النوع من التواصل لا يرقى قوة ودقة إلى التواصل المتوسّل فيه باللغة، حيث ركزّت الدراسات قديما وحديثا على دراسة اللغة وما يحيط بها وما تؤديه في إطارها التداولي وخاصة إذا تعلّق الأمر بالخطاب القرآني الذي تحفه التأويلات والتخريجات، ولهذا سعى العلماء إلى تطبيقها على النص القرآني لضبط أوجه التأويل التي يحتملها بهدف بلوغ غاياته الدلالية.

لم يعد ينظر إلى اللغة على أنها مجرد نظام، أو نسق مستقل عن الإنسان والثقافة والتاريخ، فهي فعل لغوي اجتماعي، تتجاوز نسق الجملة إلى مستوى النص الذي يتوّجه إلى الآخرين، فتكون خطابا تداوليا، لتوفرّه على السياق و المقام و المقاصد، فالتداولية تتجاوز محددات الدلالة إلى دراسة إمكانية الكشف عن قصدية المتكلم من خلال إحالة المنطوق إلى السياق لمعرفة مدى التطابق بينه و بين ظروف السياق للكشف عن القوانين العامة التي تتحكم في تحديد دلالته على اختلاف توجهاتها أهي شكر أم اعتذار أم إصدار قرار، ولقد أبدى العلماء اهتماما بالغا بالعناصر الموقفية في اللغة و التي لها ارتباط وثيق بغرض المتكلم.

لقد تنوعت مصادر الدرس اللساني المعاصر؛ إذ لكل مفهوم حقل معرفي يستمد منه مادته العلمية، فالأفعال الكلامية مثلا: مفهوم تداولي منبثق من مناخ فلسفي هو الفلسفة التحليلية.

وتهتم الدراسات التداولية بحقل واسع من اللغة، يشمل أغراض الكلام، مقاصد المتكلمين، قواعد التخاطب و كذا الخطاب و مناحيه النصية، لكن هذه الدراسات لم تصبح مجالا يعتّد به في الدرس اللغوي المعاصر إلاّ في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام بتطويرها بعض فلاسفة اللغة المنتمين الى جامعة "**أوكسفورد**" وهم: "**جون أوستين austin**"، "**سيرل Searle** "، "**بول**

غرايس Paul Grice"، وقد انصبت اهتمامات هؤلاء الباحثين حول دراسة استعمال اللغة عوضا عن دراسة اللغة، وزادت عنايتهم بقواعد التخاطب ومبادئ التعاون الحواري و منطق التأدب، وكل هذا جاء تسهيلا لعملية التواصل في ظل اللغة الطبيعية ومقتضيات الأحوال.

ومن هذا ظهرت نظرية الاستعمال التي تبناها كل من: "**كارناب Carnap**"، "**راسل rassel**"، "**جورج مور George Mour**"، "**فريجة**"، و لقد اقتصر التداوليون على المعنى المقامي واعتبروه عمدة التفسير و نظروا في قيمة القول خارج العالم اللساني؛ أي النظر إلى البعد العملي للقول، وذلك بجعل الفعل اللغوي حدثا في العالم و هو ما يؤسس لظهور نظرية أفعال الكلام.

وتعتبر نظرية الأفعال الكلامية من الاتجاهات اللسانية الحديثة التي حققت إنجازات علمية و فكرية، وهي ضاربة في جذور الفكر اللساني القديم، و قد أدت إلى إبراز أهم خصائص اللغات الطبيعية، من حيث كونها لغات تتيح لمستخدميها التعبير عن مقاصدهم بطرق ملتوية على اعتبارأنّ الكلام العادي يلجأ في حالات كثيرة إلى إجراء الصياغة غير المباشرة للأفعال الكلامية؛ أي المواقف التي يخرج فيها مستعملوا اللغة العادية بملفوظاتهم عن الدلالة على المعنى الصريح إلى الدلالة على المعنى الإضافي الخفي فهو بحاجة إلى تأويل مع القيام بعملية استدلالية للوصول إلى مقاصد المتكلم.

ثم إن التداولية مصطلح جديد يحمل مفهوما قديما كان يستخدمه القدماء في التراث العربي ضمن أنساق و سياقات بلاغية ونحوية وكلامية و أصولية و غيرها، فهي تمتلك الإمكانات التي تسهم بها في وصف اللغة العربية و رصد خصائصها الخطابية التواصلية.

وأمام هذه الاختلافات والصدامات والمذاهب حول قضية التواصل اللغوي و مدى نجاح العملية التواصلية خاصة إذا تعلق الامر بخطاب الله سبحانه و تعالى الموجه الى المكلفين من العباد نجد أنفسنا أمام الطرح التالي:

* كيف يمكن الكشف عن الأبعاد التداولية في الخطاب القرآني من خلال نظرية الأفعال الكلامية ؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية جملة من التساؤلات التي تطرحها التداولية.

- ماذا نفعل عندما نتكلم؟
- ماهي اللغة على مستوى التداول؟
- ما معنى أفعال الكلام ؟
- ماهي أنواع أفعال الكلام؟
- كيف يسمع المخاطب شيئا له معنى و يفهم منه معنى آخر؟

أما عن سبب اختيار هذا الموضوع هو دراسة الموروث العربي و محاولة التأصيل لهذه النظرية في التراث اللغوي العربي، و قد وقع الاختيار على سورة البقرة لما فيها من قصص وسياقات و موضوعات، و تعدد المخاطبين و تنوع الزمان و المكان، مما جعلها حقلا تتجلى فيه القضايا التداولية على اختلاف مقاماتها ومقاصدها.

وقد انتهجنا في هذا البحث المنهج التاريخي الوصفي التحليلي: حيث يتم تتبع أصول و تطور النظرية الكلامية مع وصف التغيرات التي طرأت عليها و كذا استجلاء و تحليل الأبعاد و العناصر و المقاصد التداولية من خلال رصدها في الخطاب القرآني تطبيقا على سورة البقرة و استنادا إلى آراء علماء المعاني والمفسرين.

وقد قسمنا بحثنا هذا الى مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة .

1- الفصل الأول الذي عنوناه ب : اللسانيات التداولية .

وقد تطرقنا فيه إلى مفهوم التداولية و أقسامها وكذا الأصول الفلسفية للفكر التداولي مرورا بأسس التداولية من خلال رصد الاستلزام الحواري و الإشاريات والأفعال الكلامية، ثم عرّجنا على التداولية في الدراسات العربية القديمة و كذا علاقتها بالعلوم الأخرى.

أما الفصل الثاني المعنون بـ: نظرية الأفعال الكلامية .

والذي وضّحنا من خلاله الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية و تصنيف هذه الأفعال وفق نظرة عدد من العلماء الغربيين، كما تطرقنا إلى الأفعال الكلامية في الدراسات العربية مرورا بالدلالة عند الأصوليين و التي كانت متكأ استندت عليه هذه النظرية في الدراسات العربية.

أما الفصل الثالث المعنون بـ: أنواع الأفعال الكلامية.

وقد عالجنا في هذا الفصل مختلف أنواع الأفعال الكلامية بداية من الإخباريات مرورا بالتوجيهيات والتعبيريات والوعديات وصولا إلى الأفعال الإيقاعية و توضيح مدى تأثير هذه الأفعال في فهم المعاني الخفية من خلال القصص القرآني في سورة البقرة.

وخاتمة توصلنا فيها إلى إجابة لأهم الإشكاليات التي حملها البحث من خلال الشرح و التفسير و إبراز ملامح الدراسات اللسانية في فهم النص القرآني.

أمّا الدراسات التي عالجت هذا الموضوع قديما ولكن من منظور مختلف نذكر: دلائل الإعجاز **لعبد القاهر الجرجاني**، البيان والتبيين **للجاحظ**، وبعض كتب الأصول مثل: أصول **السرخسي** والرسالة **للشافعي**.

أماّ في العصر الحديث كان أوّل من تبنى مصطلح تداولية "**طه عبد الرحمن**" في كتابه أصول الحوار، **ومسعود صحراوي** في كتابه الأفعال الكلامية عند العرب.

وقد واجهتنا صعوبات تمثلت في التشابه و التداخل عند علماء التفسير بالنسبة للقرآن الكريم ممّا صعب علينا التعامل معها.

وأخيرا نتوجه بالشكر الجزيل إلى الدكتور محمد بوعرعارة على مرافقته لنا في إنجاز هذا العمل، فإن أخطأنا فمن أنفسنا وإن أصبنا فبتوفيق من الله عزّ وجل.

تمهيد:

إنّ الحديث عن اللسانيات التداولية ومضامينها وأدواتها يستلزم بداهة الوقوف عند قضية جوهرية وهي التفرقة اللازمة بين البنية والاستعمال وهي تفرقة منهجية بالدرجة الأولى؛ أي أنّ للغة ميدانٌ استعمالي اجتماعي وآخر صوري، وبما أنّها كذلك فهي شديدة التعقيد تتطلب أكثر من منهج وأكثر من وسيلة لفك شفراتها وتحليل محتوياتها وكشف مقاصدها، ومن هنا قسّمها العلماء إلى عدة مستويات تحليلية ليتمكنوا من كشف محتوياتها وإظهار أسرارها ومعرفة مضمونها، والمقصد من هذا إماطة اللّثام عن أبعاد اللغة الدلالية ومقاصدها في التواصل الاجتماعي، وعلى هذا الأساس استطاع علماء اللغة إعادة الاعتبار للكلام أو الأسلوب كموضوع للدرس اللغوي.

« نشأت التداولية متوافقة تقريبا مع نشأة العلوم المعرفية، ولقد جرى التفكير في الذكاء الاصطناعي في سياق عقلية جديدة، هي العقلية التي مكّنت من ظهور العلوم المعرفية، ففي أمريكا على وجه الخصوص أتخذّ علم النفس منذ بداية القرن العشرين وجهة سلوكية، ويرفض علم النفس السلوكي التسليم بوجود أشياء غير قابلة للملاحظة، كالحالات الذهنية وهو يكتفي بملاحظة السلوك للوصول إلى تعميم في نشأة المعطيات النفسية »[1]؛ أي أنّ علم النفس يرفض ما هو تجريدي ويؤمن بالملاحظة حتى يضمن النتائج.

« ولهذا قامت مهمة عالم النفس على مدى عقود كثيرة على تعليم الحمام أو الفئران القيام بمهام تجازى عليها بالغذاء، وعلى خلاف هذا تلقينها تجّنب بعض الأعمال التي تعاقب عليها عند القيام بها بلذعها بشحنة كهربائية »[2]، ركزّ علم النفس على استعمال مثير معين لتعليم عادة ما.

يمكن إرجاع نشأة التداولية إلى سنة 1955م، عندما ألقى "**جون أوستين John austin**" محاضراته في جامعة **هارفارد** ضمن برنامج محاضرات "**وليام جيمس Wiliam Jims**" ويرى "

1- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2003، ص: 27.

2- المرجع نفسه، ص: 27-28.

أوستين " أنّ: « التداولية لا ينبغي خلطها بالنفعية ذلك التيّار الفلسفي الأمريكي الذي يمثّله أساسا "ويليام جيمس" و"**جون ديوي John Diwi** " و"**ريتشارد رورتي Ritchard Rourti** " قبل أن تظهر بمدة طويلة دراسات في هذا المجال في سنة 1938»[1].

ميز الفيلسوف الأمريكي "**شارلز موريس Charl Morris**" في مقال كتبه في موسوعة علمية بين مختلف الاختصاصات التي تعالج اللغة وهي:« علم التركيب وعلم الدلالة وأخيرا التداولية والتي تعنى؛ في رأي "**موريس**" بالعلاقات بين العلامات ومستخدميها، والذي استقرّ في ذهنه أنّ التداولية تقتصر على دراسة ضمائر المتكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن وهنا)، والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها؛ أي من المقام الذي يجري فيه التواصل ومع ذلك ظلّت التداولية كلمة لا تغطي أي بحث فعلي »[2]؛ أي أنّ "**موريس**" فصل بين الاختصاصات اللغوية.

عندما ألقى الفيلسوف "**جون أوستين**" محاضرات "**ويليام جيمس**" عام 1955م لم يكن يفكّر في « تأسيس اختصاص فرعي للسانيات، فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفي جديد هو فلسفة اللغة ونجح في ذلك بيد أنّ محاضرات "**ويليام جيمس**" ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية »[3] ؛ أي أنّه فكّر في دراسة فلسفية للغة تتجاوز اللسانيات.

لقد كانت غاية باقي المحاضرات التي ألقاها "**أوستين**" هي وضع أحد أسس الفلسفة التحليلية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو أساس مفاده أنّ اللغة تهدف خاصة لوصف الواقع: « فكل الجمل، (عدا الاستفهامية والأمرية والتعجبية)، يمكن الحكم عليها بأنّها صادقة أو كاذبة، فهي صادقة إذا كان الوضع الذي تصفه قد تحقّق فعلا في الكون، وهي كاذبة بخلاف ذلك »[4]؛ أي أنّه

1– آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 28.
2– المرجع نفسه، ص: 29.
3– المرجع نفسه، ص: 29.
4– المرجع نفسه، ص: 30.

يحكم على صدق هذه الجمل في حال حصولها في الواقع وإلاّ فهي جمل كاذبة إذا خالفت هذا الواقع.

انطلق " **أوستين**" من ملاحظة بسيطة مفادها أنّ « الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب وبالفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع بل لتغييره، فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، إنّما تغيرها »[1]؛ أي أنّه باستثناء الجمل الاستفهامية والتعجبية والأمرية ليس لها أثر يحكم عليه بالصدق أو الكذب وإنّما تسعى لتغيير حال من الأحوال.

مفهوم التداولية:

تعتبر التداولية من العلوم اللسانية الحديثة التي عرفت جملة من التعاريف منها:

لغة: « من الفعل: دول: الدولة والدولة: العقبة في المال والحرب سواء، وقيل الدولة بالضّم في المال، والدولة بالفتح في الحرب وقيل بالضّم في الآخرة وبالفتح في الدنيا.

قال "**الجوهري**": الدّولة بالفتح في الحرب أن تدال إحدى الفئتين على الأخرى.

وقال "**الزجاج**": الدُولة اسم الشيء الذي يتداول والدولة الفعل والانتقال من حال إلى حال.

الدولة والدُولة: لغتان ومنه الإدالة والغلبة ويقال: اللهمّ أدلني على فلان أي أنصرني عليه.

ودالت الأيام: أي دارت، والله يداولها بين الناس.

ودال الثوب يدول: أي بلّي وقيل: جعل ودّه يدول: أي يبلى.

دواليك: من تداولوا الأمر بينهم تداولا بعد تداول.

قال: "**عبد بني الحسحاس**":

1- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 30.

إذا شقّ بردٌ شقّ بالبرد مثله ....دواليك حتى ليس للبرد لا بس.

ويقال اندال القوم: أي تحوّلوا من مكان إلى مكان.

وقيل أيضا: جاءنا بالدُولة: أي بالداهية.

والدويل: النبت العامي اليابس: ونجد ذلك في قول "**الراعي**":

شهري ربيع لا تذوق لبونهم ... إلاّ حموضاً وخمةً ودويلاً »[1].

اصطلاحًا: هي مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي الدراسة التي تُعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية والمقامية والحديثة والبشرية.

وقد رصد للتداولية تعريف آخر وهو: « أنّها تمثل دراسة تهتم باللغة في الخطاب وتنظر في الوسميات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبي »[2]؛ فهي تركز على اللغة في إطارها التواصلي.

وقيل: « هي مجال تحليل الخطاب بأدوات لسنية خالصة لأنّها ترفض التقسيم بين ما هو لغوي محض وبين ما هو خارج اللغة، وفي تناولها للفعل اللفظي تميز بين شيئين:

1- بين ما هو خاص في كل عملية تلفظ لسني وبين ما هو عام فالجانب الخصوصي لعملية التلفظ ينتمي إلى مجال غير معهود في اللسانيات التقليدية.

2- أمّا الجانب العام فيتحدّد كخطاطة عامة لعملية التلفّظ بمعنى القواعد التي يتوفر عليها النظام اللغوي، هذا حسب الجماعات الألسنية والجماعات الوظيفية والتي تسهّل عملية تحقيق أفعال لفظية تميّز هذه الأفعال إنّ اللغة بهذا المعنى تتوظّف كشبكة من العلاقات توضع تحت تصرف كل متكلم

1- أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، مج، 5، ص: 327- 328.

2- فليب يلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر. صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007، ط.1، ص: 18-19.

وبواسطة هذه الشبكة يتم تحويل الخطاب »[1]؛ أي أنّه بحسب هذا التعريف تُدرس اللغة من جميع نواحيها الخاصة والعامة في إطار نظام لغوي كامل.

« والتداولية هي دراسة جوانب السياق التي تُشفّر شكلياً في تراكيب اللغة، وهي عندئذ جزء من مقدرة المستعمل؛ لأنّها تبحث عن كيفية اكتشاف المتلقي مقاصد المتكلم، فقول القائل مثلا: أهذه سيارتك؟ فالسؤال من دون شك موجّه للمخاطب »[2]، ولكن أهو سؤال حقيقي، أم يحمل لومًا ؟ « لأنّ سيارة المخاطب سدّت الطريق على السيارات الأخرى وهذا هو المعنى الذي يقصده المتكلم »[3]؛وهذا يعني أنّ العبارة أو السؤال في التداولية لا تحمل المعنى المباشر في الغالب بل لديها معنى ظاهري ومعنى خفي يفهم من السياق.

ومن هنا رأى بعض الباحثين أنّ للمعنى ثلاث مستويات: « المعنى اللغوي المأخوذ من دلالة الكلمات والضمائر والجمل ومعنى الكلام، وهو المعنى السياقي، ثم المعنى الكامن أو الموجود بالقوة وهو المعنى الذي يقصده المتكلم ولهذا كان أوجز تعريف للتداولية وأقربه إلى القبول هو: « دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل لأنّه يشير إلى أنّ المعنى ليس شيئا متأصّلا في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالمتكلم وحده ولا الملتقي وحده، فصياغة المعنى في تداول لساني بين طرفي الكلام وذلك في سياق معين وصولا إلى المعنى المنطوي وراء الكلمات »[4]؛ فقد قسّم هذا التعريف المعنى حسب ثلاثة مراتب ألا وهي دلالة الصيغة اللغوية الظاهرة، ثم دلالة علاقتها بالسياق، ثم المعنى الحقيقي المقصود بهذه الصياغة.

التداولية أصول ومنطلقات: « تعتبر التداولية الفرع الثالث من فروع السيميائية، وعن أصولها النظرية؛ فإنّ الفلسفة التحليلية تُعتبر المنهل الأول الذي انبثقت منه أولى البوادر التداولية

1- بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية، ص: 119.
2- بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، ص: 04.
3- المرجع نفسه، ص: 04.
4- المرجع نفسه، ص: 05.

والمتمثلة في الأفعال الكلامية وهذه الفلسفة تفرّعت عنها فلسفات أخرى ساهمت كلّها في بلورة هذه المقاربة بصورة عامّة »[1].

1- **الفلسفة التحليلية**: لقد كان الفيلسوف الألماني " **غوتلوب فريجة Gotlob Fridja**" (1848، 1925)، رائد الاتجاه التحليلي من خلال التحليلات التي أجراها على العبارات اللغوية، وكان تمييزه الحاسم بين مقولتين لغويتين تباينت مفهوميًا ووظيفيًا وهما: اسم العلم والاسم المحمول، وهما عماد القضية الحملية وذلك في كتابه "**أسس علم الحساب**" فاسم العلم في نظرية "**فريجة**" هو الذي يشير إلى فرد معين، أمّا المحمول فإنّه يقوم بوظيفة التصور، وقد اعتبر هذا التمييز انقلابا جديدا وذلك بما يتجلى في رؤيته الدلالية المميزة بين اسم العلم والاسم المحمول، وبين المعنى والمرجع، كما ربط بين مفهومين تداوليين هامّين هما الإحالة والاقتضاء[2]؛ أي أنّه ميّز بين الاسم وبين الوظيفة التي يؤدّيها هذا الاسم حسب ما يُحيل إليه. ولقد تفرغت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات:

1- الوضعية المنطقية: بزعامة "**رودولف كارناب Rodolf karnap**".

2- الظاهراتية اللغوية: بزعامة "**إدموند هوسرل Idmond Housrel**".

3- فلسفة اللغة العادية بزعامة "**لودفيغ فنجشتاين Lodvig wittgenstein**".

ولقد ميّز فلاسفة الوضعية المنطقية بين وظيفتين رئيسيتين للغة: إحداهما هي الوظيفة المعرفية ومفادها استخدام اللغة كأداة رمزية تشير إلى الواقع، ولا يزيد عملها على تصوير الوقائع وثانيهما: هي الوظيفة الانفعالية ومحتواها أنّ الإنسان يستعمل اللغة لإخراج الانفعالات التي تضطرّب بها نفسه

1- الجيلالي دلاش، مدخل إلى السيميائيات التداولية، تر. محمد يحيا تن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط. 1، 1994، ص: 11.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص :11.

كعمل الشاعر، والعبارات هنا هي تلك التي تتناول مسائل الأخلاق والميتافيزيقا [1]؛ أي أنّ للغة وظيفتين هما وظيفة أدائية تقتصر على الواقع ووظيفة انفعالية تعكس مكامن المشاعر والأحاسيس.

ولقد أسهم الفيلسوف الأمريكي " **تشارلز سندرس بيرس Tcharles Senders Peirs**" (1814-1939) بقسط وافر في بلورة النظرية التداولية، وذلك من خلال منظومته السيميائية وفعالية الذوات في رؤيتهم للعالم، والإدراك الحاصل عن هذه العلاقة عبر رؤية كونية شاملة، وتم ذلك من خلال ثلاث مراحل مرت بها نظريته السيميوطيقية.

1- مرحلة الاستلهام الكانطية.

2- مرحلة منطقية صرفية.

3- المرحلة السيميوطيقية [2]، فقد قسم مفاهيمه السيميائية وفق هذه المراحل الثلاث.

لقد وضع "**أوستين**" وتلميذه "**سيرل Searle**" نواة التداولية في حقل فلسفة اللغة العادية (ordinaire) إذ طوّرا من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم العمل اللغوي (acte de langage) وقد كان"**أوستين**" (1911-1961) أستاذ الفلسفة بجامعة **أوكسفورد**، أمّا "**سيرل**" المولود سنة (1932) فهو يدرّس بجامعة **بركلي** berkeley بكاليفورنيا.

أمّا أن يعكف الفلاسفة على النظر في التأثيرات الفعلية للخطاب أمر لم يكن بدعًا في الستينات من القرن 20، حيث كان " **أوستين**" أوّل من بعث نظرية الأعمال اللغوية، وقد كانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القديم وكان البلاغيون القدامى تداوليين، إذْ كانوا يفكّرون في الصلات القائمة بين اللغة والمنطق (وخاصة المنطق الحجاجي) من جهة، وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى، وقد طوّروا منذ " **أفلاطون Aflaton**" و" **أرسطو Aristo**"، و وصولا ألى "**سيناك**

1- ينظر: الجيلالي دلاش، مدخل إلى السيميائيات التداولية، ص: 21.

2- ينظر: أودينة سليم فلسفة التداوليات الصورية و أخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008،2009، ص:22 .

sinack" و"**شيشرون chichron**" و"**كونتيليان kontilian**" منوالاً كلاسيكيا للبلاغة، يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع[1]؛ ومعنى ذلك أنّ هناك نوع من التداولية وبحثوا في الصلة بين اللغة والحجة ومدى تأثيرها في السامع.

لقد كان "**أرسطو**" يميّز بين (الخطاب الجدلي) الذي يتوجّه إلى إنسان مجرد، يُختزل في وضعية ذات تشترك مع المتكلم في سننه اللساني وبين "القول الخطبي" "Discours rhétorique" الذي يتوجه إلى إنسان واقعي يتمتع بملكة الحكم، وذي انفعالات وعادات ثقافية، ويضيف "**أرسطو**" الأقوال الخطابية إلى ثلاثة أجناس وذلك حسب معيار العلاقة بين الخطاب والمتقبل لا حسب مضمون الخطاب:

1- **جنس مشاجري**: genre judiciair: يتضّمن أحكاما على الأعمال المنقضية.

2 – **جنس منافري**: genre épidictique: يُدينُ أو يرفع من شأن الأعمال الحاضرة.

3 – **جنس مشاوري**: genre délibératif: يقترح حلولا يبقى تحققها رهين الإمكان إذْ جهتها استقبالية أساسًا[2].

لقد رأى أرسطو أن هناك علاقة مشتركة بين المتكلم والمخاطب في إطار قوانين معينة ثقافية واجتماعية تعكس انفعالات معينة حسب المعنى الذي يحمله الخطاب.

هذه هي الأعمال اللغوية الأساسية التي اشتغل عليها "**أوستين**" و"**سيرل**" وإنّ تصنيف أنواع الخطاب الذي وضعه "**موريس**" أحد مؤسسي الدلائلية والمرجع الأساسي لدى التداولين سيكون تحسينًا لتصنيف "**أرسطو**" ثم إنّ ما يُميز بين "**أرسطو**" و "**أفلاطون**" في هذا الصدد هو أنّ هذا

1- ينظر: فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 20.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 21 .

الأخير جعل الخطابة عنصرًا لتأمل أخلاقي له مدى كوني في حين أنّ "**أرسطو**" جعلها أداة عملية للتمويه monipulation، بواسطة الخطاب[1].

وتتمثل إحدى المهام الأساسية للخطابة لدى أرسطو، في: القيام بجرد المواضع؛ أي وجهات النظر التي يمكن أن تعالج موضوعا ما عبر التوسل بها، ويمثل الجرد تصنيفًا قائمًا على الذاكرة لمداخل افتراضية لمشكل ما مثل: (الممكن والممتنع، الطبيعة والأعمال، العام والخاص)، وهذا يسمح باستباق الاعتراضات والشكوك والمقاومة التي قد يظهرها الخطاب، ويساعد في التغلّب عليها دون الوقوع في التناقض، وللاقناع نادى "**أرسطو**" بمنهج (جدلي) يضع مبادئ فكر حواريّ وإنّ الخطيب أو(المتحدّث البارع) كما يقال اليوم: هو من يتمثّل الحضور النقدي للمخاطب، حتى وإنْ تستّر ذلك الحضور خلف حوار باطني، ومن ثمّ نفهم إنسراب مفهوم الحوار في التداولية الحديثة، ولقد هذّب "**أرسطو**" تحليله باقتراحه تصنيفا للقضايا بحسب درجات الإسناد من وجهة نظر المنطق الدلالي (ومثال ذلك أنّ القضية تكون "حداً" متى أمكن إبدال المحمول بالموضوع، والعكس بالعكس)، هذا النمط من التحليل نجده حاضرًا في أغلب أعمال فلسفة اللغة إلى يومنا هذا، وأخيرا فإنّ "**أرسطو**" قد أرسى صناعته الخطابية على تمثّي (القياس) وهو وسيلة شكلية تنشئ علاقة سبب ونتيجة بشكل صارم بين (المقدمات) و(النتيجة)،حتى أنّه يتعذّر علينا الاعتراض على الإثبات، إلاّ إذا دحضنا المقدمات[2].

أي أنّ الخطابة تعكس عنده الحالات المتوقّعة حول موضوع معين حتى لا يكون هناك لبس أوردّة فعل غير متوقعة، كما أكدّ على ضرورة الحوار للوصول إلى الإقناع، وقد ربط نجاح الحوار بالعلاقة القائمة بين السبب والنتيجة؛ بمعنى إذا صحّت المقدّمات صحّت النّتائج والعكس.

1- ينظر: فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 22 .

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 23 .

أسس التداولية:

قامت التداولية على بعض الأسس التي تضبط العملية التواصلية بين المخاطب والمخاطب ومن بينها ما يلي:

1- **الاستلزام الحواري**: conversational involirement هو: « المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)؛ ويعني أنّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلّمات حوارية، وسلامة القول وقبوله من قائله وملاءمته مستوى الحوار، فبعض جمل اللغات الطبيعية في بعض المقامات تدل على معنى غير معنى تركيبها اللفظي ويختلف مفهوم الاستلزام عن مفهوم الاقتضاء (inplicature) فالاستلزّام مفهوم لساني براجماتي يتغيّر بتغيّر ظروف إنتاج العبارة اللغوية، والاقتضاء يمتاز بكونّه لا يتغيّر بتغيّر ظروف استعمال العبارة، فهو ملازم لها في جميع الحالات والأحوال »[1]؛ أي أنّ العملية الحوارية تُضبط بشروط عامة داخلية خاصة باللغة في حدّ ذاتها وخارجية تقتضي مقاما معينا يناسب العبارة التي وظّفها المخاطب.

ومبدأ الاستلزام الحواري أصيل في التراث العربي، قال "**الرازي**": « إنّ اللفظ إذا وُضع للمسمّى انتقل الذهن من المسمّى إلى لازمه »[2]، وهذا الانتقال يعني عدم وجود الافتراض في معنى الجملة، ولكنّه اتّصل بها برابط عقلي أو طبيعي أو اجتماعي وهو عند "**عبد القاهر الجرجاني**" معنى المعنى، قال: « إنّ المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ، أمّا معنى المعنى فهو أنْ تعقل من اللفظ معنى، ثم يُفضي بك ذلك المعنى إلى معنى أخر »[3] فقد قسّم المعنى في هذا إلى ثلاث مراحل المعنى الظاهر، ثم المعنى الذي يفهم مباشرة ثم يهتدي السامع إلى معنى آخر وهو المعنى الخفي.

فالاستلزام الحواري حلقة الوصل بين المعنى الحرفي الصريح والمعنى المتضمّن في شكل الجملة، ويعد من أهم جوانب البحث التداولي الذي يُعَوّل على السياق في معرفة المعنى، ويبدوا أنّ الاستلزام

1-محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، القاهرة، 2002م، ص: 32.

2- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص: 87.

3- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تص. محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، 1981، ص: 203.

بهذا المفهوم يتداخل في بعض المواضع مع التضمّن، ولكن بعض معاني التضمّن قد لا تكون واجبة أو لازمة مثل الأفعال التي تقتضي وجهًا واحدًا كالأكل والشرب والجلوس، فهي لا تستلزم الجوع والعطش ومشقة القيام على الترتيب في كل الأحوال[1]؛ أي أنّ بعض الأفعال لا تستدعي السبب المؤدّي إليها لأنّ الأكل مثلاً ليس بالضرورة أنّ صاحبه قد شعر بالجوع.

ومن التضمّن قوله تعالى: ﴿ ...ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ...﴾ [2]

فيه دلالة على أنّه سقى لهما في شمس وحر، و هذا غير لازم في كل استظلال، فقد يستظلّ المشمس بغير علة الحرارة، والظاهر في الآية أنّه تكبّد مشقّة السفر الطويل والجوع، فأوى إلى الظل ليستريح من السفر، وهذا لا ينفي اتقّاء الحر بل يتضمّنه وهذا قيّد حال زمنه وبيئته، والتضمّن قد يعني التعريض بشيئ مثل قوله تعالى﴿ ...يا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[3] « يتضمّن شيئا كنّت عنه المرأة في استئجاره ووصفها إيّاه وليس فيه لزوم »[4]؛ فهي أخفت أمرا ما في نفسها حال وصفها للرجل.

وقد قسّم "**غرايس Paul Graise**" الاستلزام الحواري إلى:

أولا: استلزام عرفي: ويتمثل في المعاني الاصطلاحية الصريحة التي تلازم الجملة في مقام معين مثل: دلالة الاقتضاء ويتمثل في معاني الألفاظ التي اصطلح عليها أهل اللغة، وهي المعاني الأصلّية المباشرة دون المجازية والمعاني التركيبية السياقية، وهي المعاني المعجمية المباشرة ويسميها الغربيون (المعنى الحرفي)، فلا تتغيّر بتغيّر التركيب والسياق، وهناك معان غير مباشرة وتسمى (معنى المعنى) عند المتقدمين، ومنها التراكيب الاصطلاحية التي يُعبّر تركيبها عن معنى مخصوص به، وبعضها يجوز فيه المعنى المباشر والمعنى المجازي، مثل: (طويل اليد)؛ بمعنى الكرم، وقد يكون وصف يده على الحقيقة ومنه في

1- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص: 88.
2- القصص: [24].
3- القصص: [27].
4- محمد علي، مختصر تفسير بن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط.7، 1981، ص: 10، 11.

الانجليزية (break the ice)، المعنى المباشر (الحرفي) اكسر الثلج، والمعنى المجازي: مهد الأمور أو مهد الطريق لأمر ما[1].

أي أنّ بعض التّراكيب قد تحتمل وجهين فتجوز للمعنى الحرفي وتجوز للمعنى المجازي حسب المثال السابق. و بعض التراكيب لا يجوز فيها المعنى الحرفي، فلا تحمل على معناها المباشر مثل: قوله تعالى: ﴿...**وَلا يَدخُلونَ الجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ**...﴾ [2]؛ يريد سبحانه التعبير عن استحالة دخولهم الجنة، وجيء بالمثل هنا؛ لتأكيد هذا المعنى فالجمل لا يلج من سمّ الخياط الضيّف الذي يسع فتيلا ضئيلا، وهذا يسدُّ باب الجدل فيهم، ولا يحمل على المعنى المباشر في العربية، خلاف البنيوية الغربية عند "**نعوم تشومسكي Naoum Tchoumski**" الذي يُجيز ما يشاكل القاعدة من غير المفيد أو دون اعتبار المعنى في البنية السطحية، ومن أمثلته الفاسدة في العربية: قُمتُ غداً، سأقوم أمس، وهذا كلام فاسد وغير مفيد[3].

ومن الآية نكتشف أنّ بعض العبارات لا يجوز فيها المعنى الحرفي لأنّه مستحيل أن يتحقّق هذا المعنى، بل لا بُدّ من البحث عن المعنى الحقيقي والباطني لمثل هذه التعابير.

واللغة العربية تنتظم وفق قانون محكم حيث الأصل فيها أن يكون الكلام مفيدا والإفادة عقلية، ومن أمثلة التّراكيب التي لا تحمل على المعنى المباشر في الإنجليزية أيضاً It rains cats and dogs المعنى الحرفي: إنّها تمطر قططا وكلابا، والمعنى المجازي: إنّها تُمطر مطراً غزيراً، ومنها وظائف حروف المعاني مثل: (لكنّ) في العربية التي تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفا لما يتوقّعه السامع، و(ثم) التي تقتضي الترتيب، و(الفاء) التي تقتضي في بعض معانيها التعقيب [4]؛ وهذا يعني أنّ لغتنا العربية ترفض الخطأ وتستدعي تركيبا نحوياً سليما يفضي إلى معنى مناسب وأكثر إفادة.

1- ينظر: محمود عكاشة النظرية البراغماتية، ص: 89 .

2- الأعراف: [41].

3- ينظر: محمود عكاشة، النظرية الرباغماتية، ص: 89 .

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 90 .

ثانيا: استلزام حواري: وهو متغير بتغير السياقات التي يَرِدُ فيها، ويُعد الحوار الحقل الفعّال والمباشر للتفاعل اللغوي، ويكشف عن البعد الاستعمالي في تحقيق قصد المتحاورين، ووضع "**غرايس**" لوصف ظاهرة الاستلزام الحواري مبدأ حواري آخر سماه (مبدأ التعاون): وهو مجموع القواعد التي يخضع لها المتحاورون؛ لتحقّق التواصل بينهم وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعّالة في الحوار وبما يراه مناسبًا لمقام القول، ويُعَدُّ أساس عملية الخطاب؛ لأنّه يربط بين أطراف الحوار، فيتحقق التفاهم فيما بينهم بطريقة منطقية، وهو مبدأ اجتماعي يتحكم في العلاقات الاجتماعية للمتكلمين من خلال الاستعمال الحرفي للغة، وأخلاقي لما يستوجبه من مبادئ أدب الحوار بين المتحاورين، ويرى "**غرايس**" أنّ الحوار أعلى نمط تفاعلي، وانطلق من بناء الحوار في وضع مبدأ التعاون الذي يقتضي أن يتعاون المتكلمون في تسهيل عملية التخاطب لتجنّب فهم غير المراد من قصد كلام المتكلم[1]؛ إذن "**غرايس**" يرى أنّ الحوار هو المضمار الذي يتحقق فيه التواصل اللغوي مهما اختلفت السياقات وأنّ مبدأ التّعاون يسّهل التّعامل بين المتحاورين ويؤدّي الفائدة المطلوبة.

يقوم مبدأ التحاور على المبادئ الحوارية الآتية:

1- « **مبدأ القدر أو الكم:** اجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، فيقول المتكلم ما هو ضروري بالقدر الذي يضمن تحقيق الغرض.

2- **مبدأ الكيف:** لا تقل ما تعتقد أنّه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فالمحاور لا ينجح في حواره بما يراه كذبا أو غير إقنّاعي وبما لا يستطيع البرهنة عليه؛ لأنّه يُضعف حجّته.

2- **مبدأ الطريقة:** كُنْ واضحاً ومحدّدا، وأوجز، ورتّب كلامك، ففي الحوار يجب تجنّب الإبهام واللبس والاضطراب والخلل المنطقي.

1- ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص: 90.

4- **مبدأ المناسبة:** اجعل كلامك مناسبا للموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسبا لسياق الحال، وهو السياق البراغماتي، فيجب أن تكون المشاركة في موضوع الحوار مناسبة ومفيدة، ورأى البراغماتيون اللسانيون أنّ هذه المبادئ أساس نجاح كل أنماط الخطاب، ومنها المحادثة التي تتفاعل فيها الأطراف التخاطبية »[1].

أي أنّ الحوار يقوم على أسس منطقية يجب أن يتوخّاها كُلُ من المخاطبْ والمخَاطب حتى تصل الرسالة وينجح الحوار.

ويساعد التفاعل الاجتماعي والمعايير الثقافية والعوامل البيئية في فهم الاستلزام الحواري، وللاستلزام الحواري عند "**غرايس**" خواص تميّزه عن الاستلزام التقليدي الذي يرتبط بمعاني كلمات معينة، ومن خصائصه: « أنّه يمكن إلغاؤه؛ فالمعنى الضمني ثانوي بالنسبة للمعنى الصريح، لذلك قام بعض العلماء بتطوير نظرية الاستلزام لـ "**غرايس**" لما تحتويه من عناصر حوارية مهمة وقابلة للتطوير»[2]؛ إذن المعنى الضمني حسبه أقل درجة من المعنى الصّريح لذلك يمكن إلغاؤه.

2- **أفعال الكلام:** نظرية تدرس الأفعال التي تُعبر عن فعل ولا يحكم عليها بصدق أو كذب، وقد لا تصف شيئا من وقائع العالم الخارجي، وليس من الضروري أن تُعبّر عن حقيقة واقعية، فهي تهدف إلى إرساء قواعد نظرية لأفعال الكلام من الأنماط المجردة أو الأصناف التي تمثّل الأفعال المحسوسة والشخصية التي تُنجز أثناء الكلام، فالمتكلم عندما يتحدث يخبر عن شيء أو يصرح بشيء أو يأمر أو ينهي أو يلتمس أو يعد أو يشكر ...[3].

أي أنّ هذه الأفعال غير محكوم عليها لا بصدق ولا بكذب ولا تصف حقيقة معينة فهي تمثل الأفعال المحسوسة لأنّ المتكلّم بمجرد أن ينطق يكون قد عبّر عن شيء داخلي يريده.

1- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص: 91 .

2- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 97.

3- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة الأفعال الكلامية، ص: 36 .

ويرى "**أوستين**" أنّ « الأقوال اللغوية تعكّس نمطا ونشاطا اجتماعيا أكثر ممّا تعكّس أقوالا يتقاسمها مفهوما الصّدق والكذب الدارجين بين الفلاسفة الذين درسوا المعنى في إطار عُرّف بالمعنى القضوي للجملة التقريرية الخبرية، وهي الجملة التي يمكننا الحكم عليها قضويا بالصدق أو الكذب، وقدّم "**أوستين**" أمثلة يوضّح فيها أنّه ليست كل الجمل جملا خبرية، وبيّن كيف أنّ اللغة يمكن أن تستخدم لتنجز وعداً أو تصريحا أو تعميداً أو رهاناً أو مقايضة إلى غير ذلك من الأفعال التي يقترن القول فيها بإنجاز الفعل »[1]؛ أي أنّ هذه الأقوال تتضمّن النّشاطات الاجتماعية المختلفة وما تحمله الجملة الخبرية من قضايا ومنه يمكننا أن نحكم على الجملة بالصدق أو الكذب من خلال مضمون القضيّة التّي تعالجها.

ويرى "**أوستين**" أيضا في نظريته أنّ كثيرا من الجمل والعبارات التي يشملها الحديث ليست خبرية، ولا تخضع لمفهوم الصدق و الكذب، فاللغة تشتمل على أسئلة و عبارات تعجّب وأوامر وتعابير خاصة بالأمنيات والتطلّعات وعبارات الترهيب والترغيب والتشجيع مثل: « "معذرة"، "مرحى"، "أحسنت"، "مرحبا"، وتوصل من هذا إلى نوعين من الأفعال في بداية نظريته و يؤكد أنّ هناك جملا ليست خبرية مثل : الأسئلة وأساليب التعجّب والأمر وعبارات الترغيب والترهيب .....

النّوع الأول: الأقوال التقريرية: وهي أفعال تصف وقائع العالم، وتكون صادقة أو كاذبة.

النّوع الثاني: الأقوال الأدائية: التّي تنجز في سياقات خاصة للدلالة على معاني الأفعال التي لا توصف بصدق أو كذب، مثل التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد »[2].

وقد استطاع "**أوستين**" تحديد بعض المفاهيم الأساسية للأفعال الكلامية التي تُعدّ جزءًا لا يتجزأ من التداولية، ووضع يده على مفاهيم أساسية مثل: « الفعل الإنجازي الذي أصبح مفهوما محوريًا في هذه النظرية، وعُدّت في صميم الأعمال التداولية، وقد توصّل إلى أنّ للخطاب معان صريحة يحملها

1- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 97.

2- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة الأفعال الكلامية، ص: 36.

ومعان ضمنيّة يستلزمها، وذلك من خلال تقسّيمه دلالة الخطاب إلى صريح وضمني ومستلزم، ويضم المعنى المنطوق عند "**غرايس**" ما تدّل عليه الجملة معجميّا ونحويّا، ويضّم منطّقيا دلالة الافتراض ودلالة التضمّن »[1]؛ لأنّ الخطاب يحمل المعنى الحرفي الصّريح والمعنى المستلزم وعند "**غرايس**" نفس النظرة أي أنّ التركيب والمعجم يؤدّيان الدلالة المفترضة والدّلالة المتضمنّة.

أما الأساس الثالث الذي تقوم عليه التداولية في بناء العبارات وتقويم هياكلها هو:

3– **الإشاريات**: « وهي الرّوابط الدّاخلية التّي تربط بين وحدات النص وتحقّق تماسكه وانسجامه، والروابط التي تربطه بعالمه الخارجي، وهي الإحالة التي تتحدّد من خلال العنصر اللغوي والسياق الوجودي أو الخارجي، ومن ثمّ تمثل دراسة البعد الإشاري للعلامة اللغوية جزءًا من مقاصد الخطاب، الإشارة في: أنا، أنت، هنا، تفهم في سياقها الخارجي ولا تتحقق إلاّ من خلال الاستعمال »[2]؛ وهي مجموع الروابط اللغوية التي تؤدّي إلى الاتّساق النصي والتّي تربطه بعالمه الخارجي.

وهذه الرّوابط تستحضر المشار إليه إلى طرفي الخطاب، ووظيفتها المقصدية تتصل بالسياق المخصوص بها، لتوضيح غاية المتكلم، وهي من العناصر التّي يفسّرها السياق اللفظي والسياق الخارجي، وهي من ناحية الدّلالة مؤكّدات؛ لأنّها مدعمة بالواقع المادّي الخارجي وبالمؤكّد اللفظي أيضًا، وهي تفيد التأكيد والاختصار في اللفظ لإلغائها ذكر المشار إليه واستحضاره في اللفظ، ومن أنواعها: الضمائر والموصلات وأسماء الإشارة والظروف ودلالات الأزمنة وألفاظ الأمكنة وللإشارة ثلاثة أنواع [3]؛ وهذه العناصر ترتبط بالسياق الذي قيلت فيه وهي مؤكدات، تفيد الاختصار لأنها إحالة بالضمائر في الغالب للشيء المشار إليه.

أولا: الإشارات الشخصية: « وتتمثل في الضمائر المنفصلة والمتصلة التي تشير إلى الاستغناء عنه، وذلك بقرينة وبإضافة قول من قبل المتكلم يمنع ما يستلزم من كلامه ويحول دونه، كقولك: لم أجد

1- فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص: 150.

2– آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 167

3– ينظر: سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية و الدلالة، مكتبة الآداب، 2005م، ص: 94

كلّ الطعام، قد يستلزم أنّك وجدت بعضه، فتلغي هذا الاستلزام بقولك: لم أجد شيئا من الطعام أو لم أجد الطعام كُلَّه، والاستلزام متصل بالمعنى الدّلالي للتركيب، فلا يقبل الانفصال عن المحتوى الدّلالي، ولا علاقة له بالصيغة اللغوية الشكلية للعبارة، ولا يتغيّر باستبدال مفردات وعبارات بأخرى ترادفها ولا ينقطع الاستلزام مثل قولك: لمن يرفع صوته: أنا أتأذّى من صوتك العالي، فيقول: أنا أحبّ التّكلم بصوت عال، والقول الثاني: لا ينفي ما يستلزمه القول الأول، ومثل: لا تتكلّف في الكلام. فيقول: لست متكلّفًا، ولكنّي أحب التفاصح وإثبات تمكنّي من اللغة والاستلزام متصل في القول الثاني »[1]؛ وهذا يعني أنّ الاستلزام متعلق بدلالة العبارة وليس له ارتباط بالصيغة الخطية إذْ أنّه لا يتغيّر بتغيّر مفردات بأخرى مرادفة لها.

والاستلزام متغيّر بتغيّر السياقات التي يرد فيها، فهو غير ثابت بل يخضع للطّبقات المقامية، فقد يؤدّي تعبير واحد استلزامات مختلفة وتؤدي السياقات المختلفة إلى اختلاف دلالة العبارة مثل: (السلام عليكم) في سياق الدخول تعني الاستئذان وعند الخروج تعنى التوديع، وتُلقى على المجلس تحية، وإذا قيلت لشخص مصحوبة بغضب وبإشاحة الوجه تعني المقاطعة والمخاصمة، ومثل:(أنت الرشيد)، يحتمل وجهين المدح والسخرية في سياقين، أولهما سياق الإعجاب، والآخر سياق النفور[2]؛ أي أنّ السياق هو السلطة العليا لهذه الدلالات المختلفة التي يؤديها المتكلم.

ويمكن تقدير الاستلزام؛ أي أنّ المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليّات الذهنية بناء على ما سمعه من كلام وصولاً إلى الاستلزام المطلوب بعيدا عن المعنى التركيبي، مثل: (فلانة أفعى)، لا يراد حقيقة المعنى بل يُراد الغدر أو الدّهاء، ومثل: المرأة الحديدية، ويراد الحزم والقوة[3]؛ و هذه المبادئ تلائم شروط المحادثة.

1- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص: 93.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 93.

3 - ينظر: أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986، ص: 93.

ثانيا: الإشارت المكانية: « وهي التي تحيل إلى المواضع التي تفاعل معها الخطاب، ويمثل المكان بُعداً أساسيًا يُحسُّ به الإنسان، ويؤثر في وجوده وكينونته، وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان غير أنّ إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسّية مادية، ويقترن إحساسه بالزمان بأبعاد ذهنية شعورية، والإحالة الظرفية يُعيّنُ دلالتها الواقع، ومن الإشارات المكانية: هذا، ذلك والظروف: هنا، هنالك، فوق، تحت ...، ويدخل فيها أسماء الأماكن، وهي تدّل على أشياء في العالم الخارجي، وهي بمنزلة التعيين والتوثيق »[1]؛ ومن هذا نفهم أنّ المكان يلعب دوراً فعّالاً في إنجاح الخطاب لأنّها مادية حسية تؤدي إلى تأكيد الخطاب وإعطائه صيغة حقيقية واقعية .

ثالثا: الإشارات الزمانية: « وهي التي تُحيل إلى زمن أحداث الخطاب والزمن نوعان: زمن نحوي وزمن كوني خارجي؛ فالنحوي زمن الجملة والكوني الظروف التي تحيل إلى العالم الخارجي، مثل: الظروف، أسماء الوقت والزمن التي يكون تقديرها في العالم الخارجي »[2]؛ وهذه الإشارات تحدد الزمن الذي وقع فيه الحوار وهو زمن الجملة والزمن الخارجي المتوقع.

4 – الإرهاصات التداولية عند العلماء العرب:

إنّ الحديث عن موضوع اللسانيات التداولية في التراث العربي ليس تأصيلا للمفاهيم المعروضة في اللسانيات الحديثة، بل لبيان الامتدادات المعرفية للمدّونة العربية وتقديم جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديما.

« إنّ من أهم الظواهر التي اعتمدها العلماء العرب في الإطار التداولي ظاهرتي الخبر والإنشاء، معتمدين في ذلك مقولات ومبادئ سياق الحال ووضع المتكلم وموقعه من العملية التّواصلية وغرضه من الخطاب وطبّقوها على نصوص القرآن والسنة، بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التّي تطرأ على القول وتتغيّر من مقام إلى آخر، وعلاقة تلك المعاني بقائلها، وعلاقة ذلك

1- محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية، ص: 85.

2- المرجع نفسه، ص: 85.

كلّه بظروف القول وملابسات الخطاب، ودرسوا أيضاً (ألفاظ العقود والمعاهدات) وما تقتضيه من تشريعات اجتماعية سياسية، والقوى الانجازية لتلك المواضعات القوليّة وشروطها وأحكامها، وكانت نتيجة ذلك أنّهم استنبطوا (أفعالاً كلامية جديدة) ضمن بحثهم لمعاني الخبر والإنشاء، كالإذن، الوجوب، التحريم، الإباحة، وكاعتمادهم مقولة: القصد أو الغرض »[1]؛ لقد ربط العلماء العرب التداولية بالعملية التواصلية وما يحيط بها من متغيّرات مختلفة وطبّقوها على النص الشّرعي للوصول إلى معانيه الحقيقية معتمدين في بحثهم على ظاهرتي الخبر والإنشاء وما تنجزه من مقاصد وأغراض.

ومن مراعاة البعد التداولي في النحو العربي أنّ كثيرًا من النّحاة العرب كانوا غير بعيدين عن هذا التصور التداولي في تطبيقهم لظواهر الخبر والإنشاء على موضوع بحثهم الخاص، ومن ثمّ في مراعاتهم لأهمّ الأفعال الكلامية المنبثقة عن تلك المبادئ التداولية ويتجلى ذلك في ما يلي:

أنّ العلماء العرب منذ عصر سيبويه، ولاسيما العالمين الكبيرين عبد "**القاهر الجرجاني**" (ت471) و"**الرضي الإستربادي**" (ت686) أوليا عناية كبيرة بالارتباط التداولي بين الأسلوب خبراً كان أم إنشاء وبين معناه الإبلاغي ووظيفته التواصلية، مع حرصّهما القوي والمتكرر على الاهتمام بـ: (المعاني) و(الأغراض الإبلاغية) المتوخاة من الخطاب وإصرارهما على أنّ البنى التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية وليس العكس، فسلكا منهجًا تداوليًا في تحليل الظواهر التركيبية، كظواهر التقديم والتأخير والتعيين والإثبات والنفي والتي لا تعدوا أن تكون أغراضًا وغايات تواصلية يسعى المتكلم إلى تحقيقها، وأمّا بلغة المعاصّرين فهي (أفعال كلامية) طالما أنّه يراد بها تخصيص الخطاب، أو الحرص على تضمين الخطاب فائدة تواصلية معينة، أو تنبيه المخاطب، أو تأكيد الرسالة الإبلاغية له أو ندائه أو إغرائه أو تحذيره أو توبيخه، وهذه الأفعال الكلامية تؤدّى إمّا عن طريق لفظ مفرد، كمعاني الأدوات أو عن طريق تركيب كامل كبعض معاني التأكيد والتخصيص والتعين[2].

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 07.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 10.

يعتبر رأي النحويين من الآراء التي ترى أنّ للتركيب ووظيفته التواصلية صلة وثيقة، حيث درسوا الظّواهر النحوية التي تؤدّي غايات تواصلية معينة وهذه المعاني تؤدّيها ألفاظ أو تراكيب.

كما يحظى طرفا الخطاب (المخاطب والمخاطب) باهتمام بالغ في تحليلات العلماء العرب القدامى وخصوصا عند العالمين السابقين، فلم يغفلا عن العلاقة القائمة بين المخاطب والمخاطب، ويتمثل اهتمامهما بالمتكلم في العناية بـ: (غرضه وقصده) من الكلام، أمّا اهتمامهما بالمخاطب فيتمثل في الاحتفاء بـ (الإفادة)؛ وهي الفائدة التي يجنيها السامع من الخطاب، ويتجلى ذلك أيضًا فيما عبّر عنه **الرضي**: بدفع المتكلم ظنّ السامع به الاحتمالية والتجوز، ومنع غفلته عنه و إزالة الشك والتوهم[1].

وقد أولى العلماء العرب عناية شديدة بقطبي العملية التواصلية المخاطبْ والمخاطَبْ ويركزان على الفائدة التي يؤدّيها الخطاب والتي يستفيدها السامع من المتكلم.

كما لا يخلو البحث النحوي في تراثنا من الاهتمام بـ (الأفعال الكلامية) ضمن تطبيق معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر النحوية، ومن ثمّ فقد ناقش نحاتنا القدامى كثيراً من المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب العربية المختلفة بخلفية تداولية، فتطرّقوا إلى كثير من الأفعال الكلامية كـ: فعل التأكيد وفعل الإغراء والتحذير والنداء والاستغاثة والندبة[2]؛ درس العرب ظاهرة الخبر والإنشاء في إطار الظواهر النحوية بمفاهيم تداولية فتطرّقوا إلى كثير من الأفعال الكلامية التي تؤدّي معاني مختلفة حسب السياق الذي استعملت به.

وممّا يؤكد اهتمام النحاة بالبعد التداولي للظاهرة اللغوية إشارة بعضهم إلى المعاني والأغراض العميقة الكامنة وراء الألفاظ والمباني ومن ذلك إشارة "**سيبويه**" إلى أنّ: « (القسّم) لا يعدوا أن يكون تأكيداً للكلام، وأنّ (للاستفهام) عدة وظائف تواصلية منها (التنبيه) ومن ذلك إشارة كل

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 47.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 47.

من "**الخليل**" و "**الإستربادي**" إلى أنّ (القسّم) لا يُراد لذاته وإنَّما يراد به إمّا (الإلحاح في الطلب) وإمّا (تأكيد الخبر) »[1]؛ وهذا يؤكّد أنّ بعض المعاني تخرج عن معناها الأصلي إلى معان فرعية أخرى.

وخلاصة هذا نرى أنّ التداولية بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية، كسياق الحال، غرض المتكلم، إفادة السامع، ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلامية، تُعدّ أداة من أدوات قراءة التراث العربي في شتى مناحيه ومفتاحاً من مفاتيح فهمه.

5 – علاقة التداولية بالعلوم الأخرى:

ارتبطت التداولية بعديد من العلوم التي استقت منها قواعدها ومعالمها في دراستها للغة التواصلية ومن هذه العلوم مايلي:

1– التداولية الأدبية:

لقد استفاد النص أو الخطاب الأدبي من مجموعة مقاربات ونظريات ومناهج، وخاصة بعد مرحلة ما بعد الحداثة بين سنوات الستين والسبعين من القرن العشرين، ومن أهمّ هذه المقاربات التي انفتح عليها الأدب بصفة عامة، والبلاغة بصفة خاصة هي المقاربة التداولية بكل تياراتها الحجاجية، المنطقية، اللغوية، التخاطبية، التداولية، والسياقية ومن ثمّ فهناك تصورات تداولية عدّة حول النص والخطاب الأدبي تختلف من تيار إلى آخر، ومن تداولي إلى تداولي آخر. فقد اعتمد النص الأدبي على كثير من الروافد خاصة الحداثية منها كالتداولية، الحجاج، والمنطق وقد نظرت التداولية إلى هذا الخطاب من عدة زوايا بسبب اختلاف التيارات والمذاهب.

« إذن فالتداولية تتعامل مع النص الأدبي بوصفه خطابا وملفوظا لغويا ذا كليّة عضوية سواء كان ذلك الخطاب شفويا أم كتابيا، حيث تربط ملفوظاته بالوظيفة والسياق المقامي والأداء الانجازي،

1– : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب ، ص: 120.

وتدرس مكوناته التلفظية السياقية وروابطه الحجاجية المنطقية وغير المنطقية وتربطه أيضاً بالحوارية والمقصدية والإحالة والتفاعل والخطاب التداولي »[1]؛ تتعامل التداولية مع الخطاب بنوعيه شفوي وكتابي؛ لأنّها تربط منطوقاته بالوظيفة والمقام والآداء وتبحث في أجزاء هذا الخطاب ومدى انسجامها وتأدّيتها للقصد المراد.

2 – **التداولية والحجاج**: إنّ أخذ الحجاج في اعتبارات الدراسات التداولية، هي خصيصة للسنوات الثمانين، تشهد على ذلك البيبلوغرافيا، وتوضّحه معظم المفاهيم، ومن ذلك أنّ"**غرايس**" يجمع بين المنطق والحجاج [2]؛ أي أنّ الحجاج أخذته التداولية في دراساتها في مرحلة متأخرة حيث يجمع "**غرايس**" بين ما هو عقلي ومدى إثباته بالحجة.

إنّ التفاعل بين البحث التداولي والبحث البلاغي فيما يتعلق بالحجاج أدّى إلى اقتراح عرض الاتجاهات الأساسية لدراسة الحجاج في البحوث التداولية، لأنّ طبيعة علاقتها بالحجاج هي التي حددت نظام تقديم النظريات المختلفة، لذلك فإنّ البحث الذي لا يطمح أبدًا إلى أن يكون استقصائيا لا يراعي الترتيب الزمني لنشأة النظريات، وبيد أنّه يستجيب لنظام منطقي قابل للتّحليل حسب متطورات ثلاثة كبرى منطقي، لغوي ومحادثي [3]؛ أي أنّ العلاقة بين التداولية والبلاغة ارتبطت بالحجاج ومدى قدرة المتكلم على تبرير قصده.

1– **المنظور المنطق**: يرى اعتماد منطق خاص باللغات، وتجسد هذا التمشّي نظريتان أساسيتان:

أ– اللسانيات النفسية العرفانية: والتي يُبحث فيها عبر تحليل الخطاب والمحادثة عن إنشاء منطق للتفكير في اللغة، هذا الضرب من الأبحاث طورّه "**جورج فنيو George Finou**" و"**بول غرايس**" و" **فريديريك ناف Frédérique Naf**" ويُعدّ مفهوم التضمّن–كما حدّده–"**غرايس**"

1– جميل حمداوي، العربية و الترجمة، مجلة علمية تعنى بعلوم اللغة و الأدب، المنظمة العربية للترجمة،2012، العدد، 09، ص: 05.

2– ينظر: صابر حباشة، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ص: 243.

3– ينظر: المرجع نفسه ، ص: 243.

سمة قارّة في تلك الأبحاث، بهذه العبارة (التضمن)؛ يعني "**غرايس**"إجراء حساب المفهوم الذي يضعه المخاطب انطلاقا من تلفظ المتكلم، ومن حكم المحادثة التّي تمثل قواعد هذه المحادثة؛ أي مجموع المتكلمين في إطار ثقافي معين [1]؛ أي أنّ العبارة اللسانية تتضمن مفهوما ما، يضبطه إطار ثقافي يتقاسمه جميع المشاركين في المحادثة.

ب– علم الدلالة المنطقي: الذي اقترحه "**روبار مارتان Reber Marten**"، والذي يُجرب تفكيراً منطقياً للحوارات اللغوية، انطلاقاً من إعادة تشكيل مفهوم الحقيقة في العلاقة بين الجمل تحديدا، وإذا كان مستحيلا بيان عمق هذا العمل، فإنّنا نركّز بالمقابل على أهمية مفهوم ممكن لوقوع النظرية، إنّ صناعة المعنى وتأويله في اللغات الطبيعية يقومان على علم دلالة "ضبابي" أو "علم دلالة غير صارم في صحته" حيث يجب على اللساني أن يحدّد قواعده الوظيفية وقد ابتكر "**مارتان**" لهذا الأمر مفهوم (عالم الاعتقاد) وهو: مجموعة قضايا يعتبرها المتكلم صحيحة لحظة تكلمه وكذا الحال بالنسبة إلى القضايا الخاطئة أو التّي يبحث عن تصديقها كما هي[2] و"**مارتان**" يركز هنا على العلاقة بين الجمل المكونّة للخطاب من منظور عقلي ويؤكد على أنّ الدّلالة لا تقوم على مفاهيم واضحة ويصفها بعالم الاعتقادات.

2 – المنظور اللغوي: « إنّه منظور يتبلور في أبحاث "**أوزفالدو ديكرو Ouzvaldo dikro**" عن الحجاج في اللغة وبخلاف المنظور السابق، فإنّ البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية ولكنها لغوية بالأساس داخلة في اللغة التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، هذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيا بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية، فالملفوظات تختّص إذن بقطبية حجاجية؛ أي بكفاءة في الدخول إلى محمل لغوي موجّه نحو استنتاج دقيق، وعدم قدرتها بالتّوازي على الدخول في محمل موّجه نحو الاستنتاج المضّاد »[3]، "**أوزفالدو ديكرو**" يناقض "**مارتان**" في

1– ينظر: صابر حباشة، لسانيات الخطاب، الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ص: 245.

2– ينظر: صابر الحباشة، لسانيات الخطاب، ص: 245.

3– المرجع نفسه، ص: 245.

تحليله للبنى الحجاجية، ويرى بأنّها ليست منطقية بل لغوية محضة تحوي معلومات تتعلق بالحجاج؛ أي أنّ التّوقع اللغوي بالنسبة له موجّه للاستنتاج دقيق وليس موجّه لاستنتاج معاكس.

إنّ أعمال "**أوزفالدو ديكرو**" و"**جون كلود أنسكمبر John Klod Anskamber**" تتميز عن النظريات التداولية الأخرى بمصادرة مخصوصة: إنّهما يعتبران أنّ هذه القطبيات الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنّها مسجّلة في اللغة بوصفها أساسًا لكل دلالة، إنّ الحجاج في نظر هذين اللّسانين لم يَعد نشاطا لسانيا من بين أنشطة أخرى، لكنّه أساس المعنى نفسه وأساس تأويله في الخطاب[1]؛ لقد اعتبروا الحجاج هو الأساس الحقيقي للمعنى وهو السبب الرئيسي لتأويل الخطاب.

3– المنظور المحادثي: « إذا كانت البنية المنطقية للتفكير هي منشأ اللغة فإنّ الخطاب والتبادلات اللغوية هي مصبّها، ذلك هو المنظور المحادثي كما شرحه "**جاك موشلار Jack Mochlar**" وهي أعمال تتوجّه نحو وجهة مزدوجة:

أ– دراسة نظامية للروابط الحجاجية وعوامل أخرى للتسلسل اللغوي وهي عبارات وتراكيب من قبيل: إذن، في النهاية، وهذا ما يساعد على إنشاء تحليل مصغّر للمحادثة.

ب– دراسة بنيوية للمحادثة ولوحداتها الصغرى، حديث، تدخل، مقاطعة، جواب ... بالنظر إلى غايتها؛ أي مقصدها الحجاجي. وهذه المقاربة تمنح التحليل الأدبي فائدة تحليل موسّع؛ أي أنّها تتخذ وحدات كبرى من النص موضوع الدراسة، متجاوزة بذلك حدود الملفوظ فحسب؛ ممّا يفسّر أنّ بعض المنظّرين للتحليل المحادثي قد طبّقوه على النص الدرامي، وأخيرا فإنّ إطار المحادثة هو بالتوازي إطار نظرية أساسية في تاريخ التداولية، نظرية قوانين الخطاب التي أنشأها "**غرايس**" وحسب افتراضه فإنّ هذه القوانين تشكّل المبادئ المنظمة لكل محادثة[2]؛ بمعنى إذا رجعت اللغة إلى المنطق فإنّ

1– ينظر: صابر حباشة، لسانيات الخطاب، ص: 246.

2– ينظر: المرجع نفسه ، ص: 247.

العبارات اللغوية هي التي تصّب فيها اللغة، وهذه اللغة محكومة بروابط مناسبة للخطاب أي أنّ المحادثة تقوم على أساس قوانين مترامية ومضبوطة حتى تشكل لنا المحادثة المناسبة.

إنّ قوانين الخطاب في استنادها إلى جماعة مستعملي اللغة تصل في النهاية بين التحليل الحجاجي وعلم اجتماع الخطاب، كما طورّه باحثون من أمثال "**أرفنغ غوفمان Arfeng Gofman**" و"**جون غمبرز John Guemberz**"، ومن هذا تمّ إعطاء التداولية امتدادها الأقصى الذي يسع مجموع الظواهر اللسانية في نظرية عامة[1]، ومن هذا كلّه يثبت أنّ المباحث التداولية في الحجاج تنطلق في مجموعها من الحقل البلاغي.

3 – علاقة التداولية باللسانيات: يزيد الاهتمام باللسانيات الاجتماعية يومًا بعد يوم، وذلك نابع من أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية، ومعلوم أنّه ليس في الإمكان أن تعزل الظواهر اللغوية عن مقاماتها أو دلالاتها الاجتماعية، فهي تعكس الواقع الاجتماعي الذي يُعدّ منبعها الذي تمنح منه، وهي وسيلة من وسائل التواصل في التعلم ونمو المجتمعات وبناء الحضارات الإنسانية وازدهار العلم والمعارف.

ومقولة أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية تعني أنّها تحتل مركز النشاط الاجتماعي في أي مجتمع، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أنّ اللغة نشاط اجتماعي يمارسه أفراد المجتمعات في ظروف معينة، ضمن إطارين: مكاني وزماني، على نحو يؤدّي في النّهاية إلى أن يحقق هؤلاء الأفراد غاياتهم، الأمر الذي يقود إلى تكوين مجتمعات مستقلّة يجمع بين أفراد كل منها رابطة لغوية [2]، عُدّت اللغة المرآة العاكسة للمجتمعات وحضارتها وهويتها وأساس لمختلف العلوم وبالتالي هي النواة الحية للمجتمع والتي يؤدي من خلالها الأفراد حاجاتهم اللغوية عن طريق التواصل.

كما أدّى ذلك إلى ظهور مفهوم الكتابة التواصلية المتمثلة في الوقوف على الصيغ اللغوية التي يحتاج إليها المتحدث والمتلقي، والطريقة المناسبة لاستخدام تلك الصيغ وهي للحكم على نجاح الفرد

1- ينظر: صابر حباشة، لسانيات الخطاب، ص: 248.

2- ينظر: هيثم سرحان، آفاق اللسانيات، دراسات، مراجعات، شهادات، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011، ط1، ص: 434.

في المجتمع [1]، ولقد أصبح الحكم على نجاح الفرد من عدمه إلى أدائه اللغوي واستخدامه الصيغ المناسبة في المقام المناسب.

ويعالج اللّسانيون التغيرات النحوية وأسبابها في بيئات اجتماعية معينة آخذين في الحسبان حالة المتكلم والخطاب اللغوي الذي يستعمله إلى جانب مستوى المخاطب والدور الذي يؤدّيه في الحدث الكلامي، ولقد كان علماء اللغة دومًا يتطلّعون إلى منهج يستشرف اللغة من خلال بُعد أوسع يبيّن كيف تتفاعل مع محيطها وهو ما تحقّقه التداولية اليوم[2]؛ إذن الحوار يستدعي الوضع التخابري والسقف المعرفي بين المتخاطبين حتى تتحقق اللغة في الواقع ولا يحصل تشويش في الفهم.

4 – التداولية والنحو الوظيفي: « وفق هذا السياق ومتغيراته والعناصر الفاعلة فيه تتشكل اللغة، وعلى تأثير اللغة في السياق كذلك يتأسس النحو الوظيفي عند "**هاليادي Haliday**"، وليس هذا تلخيصا لنظرية النحو الوظيفي عنده وهي النظرية التي استندت إليها اللّغويات النقدية، وهو مجرد مرور كريم على نسق ثري بوصفه خلفية ضرورية لتطور التداولية، وما تلاها وما زامنها من مقاربات لغوية وخطابية في هذا النسق »[3]؛ تتشكل اللغة وفق نظام معين أمّا النحو الوظيفي يتأسس على تأثير اللغة في السياق وهناك علاقة وثيقة بين التداولية والنحو الوظيفي.

لا تقتصر اللغة على كونها ظاهرة معرفية أو جملة من التراكيب؛ بل تتجاوز ذلك إلى أداء وظائف في سياقات متباينة، وتتلون بالسياق الذي نستخدمها فيه من خلال استجابتها لتغيرات الموضوع « (في السياسة أو الدين أو الأحياء أو التاريخ) إلى غير ذلك من المجالات والانشغالات والعلاقات المتباينة بين المشاركين في الخطاب، (تقارب، تباعد، وما بينهما، وما حولهما من درجات وظلال)، ووسائل الخطاب وقنواته (كتابة أو مشافهة، مباشرة أو عبر وسيط)، ومن هذا تنتظم اللغة في فئات ثلاث ناقشها "**هاليداي**" وما زالت أساسًا لما تلاها من مقاربات تداولية:

1- ينظر: هيثم سرحان، آفاق اللسانيات، دراسات، مراجعات، شهادات، مركز دراسة الوحدة العربية ص: 434.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 435.

3- بهاء الدين محمد مزيد، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، دار شمس للنشر، القاهرة، 2010م، ط.1، ص: 37.

1- وظيفة تصورية: وهي تمثل الواقع (التقرير، الوصف، الإخبار).

2- وظيفة تفاعلية: وهي التفاعل مع الآخرين (تأسيس علاقات مع الآخرين أو ترسيخها أوإعادة صياغتها).

3- وظيفة نصية: وهي إنتاج النصوص والخطابات وتنظيمها وإدارتها (الكلام أو الكتابة أواللغة الشارحة و وسائل تنظيم الخطاب).

يرتكز تمثيل الواقع في الأساس على التعدية أو التعدي، وهي ليست مجرد خاصية في الفعل في تعارض مع لزومه، بل هي خاصية في الجملة بكاملها وتتكون الجملة كذلك من المشاركين في الفعل وظروفه مثل (هنأ محمد عليًا بنجاحه أمس)، الفعل فعل التهنئة، المشاركان هما "محمد" و"علي"، وظروف الفعل تشمل السبب والزمان، من هنا تكون البداية من الفعل أو ما يقع أو يحدث.

تنقسم الأفعال والحالات والأحداث في نسق " **هاليداي** » [1]إلى:

- « أفعال كينونة وصيرورة أو تحويل (أفعال إسناد) مثل: يبدو، أصبح، مابرح، ألفى، وجد.
- أفعال مادية مثل: ضرب، قتل، كسر، صدم.
- أفعال لفظية/كلامية مثل: هنّأ، نادى، حيّا، كتب.
- أفعال نفسية: مثل: يحب، يكره، يعتقد، يشعر، يخشى.
- أفعال سلوكية: مثل: يضحك، يبكي، يبتسم، يعبس.
- أفعال وجودية: كما في (على الطاولة كوب) هنا قصور واضح »[2]، وهذه الأخيرة لا تحظى في اللغة العربية بنفس الحظ من التناول الذي نجده في اللغة الإنجليزية لأنّها في جملة الأحوال تقديرية، فحين نقرأ (على الطاولة كوب) ندرك أنّ تقدير الكلام (يوجد كوب على الطاولة) ومن هنا نستنتج الصلة الوثيقة بين التداولية والنحو الوظيفي، ومن هنا نكتشف أنّ "**هاليداي**" نظر للغة على

1- بهاء الدين محمد مزيد، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي تبسيط التداولية، ص: 38.

2- المرجع نفسه، ص: 39.

أنّها مجموعة من الوظائف تتفاعل فيما بينها لتكوين النص إضافة إلى دور المشاركين في الخطاب ومدى تأثيرهم في المعاني وكذلك بعض المكنونات والوقائع التي تعكسها بعض الأفعال.

5 – التداولية و علم الدلالة: « يشارك هذا العلم التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته، ونتيجة لتنامي الاهتمام بالتّفاعل بين المعنى والاستعمال ظهرت اتجاهات حديثة تحاول أن تؤلّف بينهما »[1]؛ أي أنّ كل من التداولية والدّلالة تشتركان في تحديد المعنى إلاّ أنهما تختلفان في تحديد بعض مستوياته.

كما يُعد القصد في الدراسات التي عُنيت بتقصي المعنى واحدًا من أهم الأساسات التي عليها البعض يبني البعض تفريقًا بين مجال الدّلالة و مجال التداولية فـ"**جيفري ليتش Jifri Leech**" يرى أنّ الفرق بين المجالين يتوقّف على تفريقنا بين الجملتين التاليتين:

- ماذا تعني (أ)؟.

- ماذا تعني أنت (ب)؟.

إنّ الفرق بينهما في نظر "**ليتش**" هو أنّ مجال الدّلالة يهتمّ بالمعنى في ذاته (الجملة 1) بغضّ النظر عن سياقه ومقامه والمتحدث به أو المتحدث إليه أو غير ذلك من العناصر التي يتطلّبها التخاطب، في حين تستحضر التداولية لفهم المعنى بين عنصر المتكلم أو مستعمل اللغة (الجملة 2) مع ما يقصده من مقاصد؛ أي أنّ الدلالة خاصة بالمعنى الأصلي دون البحث عن المؤثرات الخارجية.

ومعلوم أنّ القصد في الخطاب والفعل الشخصي مرتبط بالذات فلا يسأل أو يؤخذ أحد عن قصد غيره؛ أي لا يلزم أحداً أن يقصد وقوع ما هو فعل الغير لأنّه غير مكلف بفعل الغير وإنّما يُكلّف هو بما فعله.

1- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 10.

وهذا التنصيص على القصدية في اللغويات التداولية بما أنّها فعل ذاتي في الخطاب ترجع كل دلالة ملفوظية إلى المتلفظ بها ويحتكم في الختام إليها، وهو مختار من الأقوال عند غالب الفقهاء إلاّ في حالة خاصة، وعلى هذا صيغت القاعدة الذهبية التالية: مقاصد اللفظ على نية اللافظ »[1]؛ فالمعاني والغايات من الخطاب تعود إلى المتكلم وما يريده ويرمى إليه.

أنواع القصد: « يقوم مفهوم الدلالة غير الطبيعية عند الفيلسوف الانجليزي **"بول غرايس"**، على تصور يكون فيه القصد التخاطبي قصدان: قصد تبليغ محتوى معين و قصد تحقيق هذا القصد نتيجة لتعرّف المخاطب عليه، وفي نفس التوجّه يُميز أصحاب نظرية المناسبة "**دان سبربر Dan sbérber**" و"**دريدر ويلسون Drider wilson**" بيّن قصدين استلهماهما من نظرية "**غرايس**":

أولا: القصد الإخباري: Intention informative:

هو ما يقصده المتكلم من حمل لمخاطبه على معرفة معينة، هذه المعرفة التي ليست سوى ما أراده المتكلم من كلام يحمل في الغالب خبراً (مضمونا) وهذا الخبر سواء توحّد أو تعدّد إنّما يأتي ليُبيّن عن موقف خاص من قضيته فيكون بذلك مفيدا لأمر قد يعرفه المخاطب تذكيراً وتنبيها،أويجهله فيكون تعريفًا له وتبصيراً [2]؛ أي أنّ الخبر هنا يحمل قضية ما قد يجهلها السامع فيعرّف بها أو يعرف عنها فنذكره بها.

يقول الجاحظ: « لا خير في كلام لا يدّل على معناك، ولا يشير إلى مغزاك، وإلى العمود الذي إليه قصدت، والغرض الذي إليه نزعت »[3]؛ أي كلام المتكلم لا بُد أن يحمل قصداً معينا واضحاً.

ثانيا: القصد التواصلي: Intention communicative

1- ينظر: إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)مج. 28 ، العدد، 05، 2014، ص: 07.

2- ينظر: إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)ص: 08.

3- الجاحظ، البيان و التبيين، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1، ص: 115.

هو ما يقصد إليه القائل من حمل لمخاطبه على معرفة قصده الإخباري، والمعروف في التراث التداولي القديم بالإفهام والتفاهم.

يقول الجاحظ: « مدار الأمر و الغاية التي إليها يجري القائل والسامع إنّما هو الإفهام، فبأيّ شيء بلّغْت الإفهام وأوضَحْتَ عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع »[1]؛ والفهم والإفهام هو الوجه الذي يصّور الفعل التخاطبي القصدي في صورته الذاتية؛ أي تفاعل الذات مع اللغة من حيث يحصل لها إدراكها على الجملة والتفصيل مع ما يتطلبه ذلك من استحضار لشروط التّحصيل الداخلية والخارجية (الفهم)، وانعكاسه أو ما نسميه الصّورة المتعدية من تفاعل الذات مع اللغة إلى قصد تحقيق هذا التفاعل عند الآخر عن طريق (الإفهام).

6 – علاقة التداولية بالأسلوبية: ينطلق صاحب كتاب الأسلوبية من أنّ البراغماتية تدرس نظرية الأعمال اللغوية كما ظهرت مع "**أوستين**" و"**سيرل**"، فهي تنظر إلى الأقوال فيما هي مسرح تظهر عليه ثلاثة مستويات من العمل اللغوي:

1- العمل اللغوي.

2 – العمل المتضمن في اللغة (اللاقولي).

3– عمل أثر القول.

ويعود "**مولينيه Moulnier**" إلى "**بروندونير Broundounir**" الذي يرى: أنّ كل فعل كلامي هو تحقيق لذاته ولمجرد كونه إنتاجاً كلامياً، في حين أنّ القيمة التأثيرية تختّص بتحقيق موقف ملموس تحقيقًا فعليًا بواسطة التكلم وحده »[2]؛ أي أنّ الفعل يتحقق بمجرد النطق به وتتحقق قيمته التأثيرية من خلال موقف يتحقق في الواقع.

1- الجاحظ، البيان و التبيين، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1، ص: 76.

2- ينظر: صابر حباشة ، أسئلة الدلالة و تداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية ، دار زهران للنشر، عمان، الأردن ، 2010م، ص: 128.

ويرى الباحث اللساني الفرنسي: "**مولينيه**" أنّ قيمة العمل الفني هي: « شيئ إضافي؛ فهي لا توجد في أي مكوّن من مكوّناته »[1]؛ لأنّ القيمة الفنيّة تحصل من مدى تأثير هذا العمل اللغوي، وهي مع ذلك « تنتمي إلى طبيعة لغوية وهذا هو واقعها المادي »[2]؛ وتنتمي في الوقت ذاته إلى طبيعة الحدث غير اللغوي بقدر ما يصبح الفعل اللغوي نفسه ينتمي إلى طبيعة الحدث غير اللغوي بقدر ما يصبح الفعل اللغوي نفسه حدثا في العالم، تمامًا مثل اللوحة الفنية أو السيمفونية أوالمنحوتة في عالم الأشكال الجمالية، ومثل الطاولة أو المحرك في العالم الاجتماعي – الاقتصادي: « هذه القيمة علامة الرهان البراغماتي للفن الكلامي؛ وهي هدفه ونتيجة له »[3]؛ بمعنى لا بُد أن يكون للعمل الفني نتيجة نفعية حقيقية.

ويفسر"**مولينيه**" تصوره للقيمة البراغماتية/ التداولية للعمل اللغوي « ذي الطبيعة الأدبية؛ فهذه القيمة البراغماتية تقوم بعملية إبدال وتحويل وتصعيد، بحيث تجعل من العمل الكتابي شيئاً فنياً، وتضع هذه القيمة النشاط الكتابي على أساس كونه ممارسة للمرجعية الذاتية في العمل اللغوي.

ويعتبر (الفعل الكلامي الذي يتسّم بكونه أدبياً هو تأثيري) أولا يكون شيئاً فالأدبية هي إنجازية مطلقة للغة إذ تتحول إلى وظيفة شعرية؛ أي أنّ الفعل الخلّاق شيء لغوي يكون هو نفسه مرجع لهذا الشيء »[4]؛ أي أنّ الفعل الكلامي يؤدي إلى فعل تأثيري وإلاّ فهو فعل لا يتسم بالأدبية لأنّ العمل الإبداعي يتحول إلى وظيفة شعرية.

« يبدو هذا التوجيه الذي عمد إليه "**مولينيه**" لكل من التداولية والأسلوبية محكوم بمحاولة إخراج الأسلوبية من المضيق الذي آلت إليه ولاسيما (أسلوبية الأثر) كما يقول هو »[5]، ثم إنّ

1- صابر حباشة ، أسئلة الدلالة و تداوليات الخطاب ، ص 128.
2- المرجع نفسه ، ص: 129.
3- المرجع نفسه ، ص: 129.
4- صابر حباشة ، أسئلة الدلالة و تداوليات الخطاب ، ص: 129.
5- المرجع نفسه، ص: 130.

إمكانية تلاقي هذين المنهجين على صعيد واحد لا يُمكن أن تتم إلاّ إذا صادق التداوليين والأسلوبيين معاً على تصوّر مُوحد في نظرية المعنى.

فإذا اقتصر التداوليون على المعنى المقامي واعتبروه عمدة التفسير وانكبَّ الأسلوبيون على المعنى اللغوي (الحرفي المجازي) على حدّ تعبيره فقط فإنّ هذا الافتراق الجوهري في تصّور المعنى لا يسمح بتلاقي المنهجين إلاّ إذا عدّل كُلٌّ منهما من منظوره إلى هذه المسألة المركزية.

وثمّة أمور كثيرة تؤدّي للخلط بين منهج الأسلوبية ومنهج التداولية « مع تسليمنا بوجود أسلوبيات شتى وتداوليات مختلفة »[1]، لعلّ من بينهما علاقة المنهجين بالبلاغة.

كما يرى بعض العلماء مثل: "**شارل بالي Charl Baly**": « أنّ الأسلوبية تقف عند حدود جمالية القول، أمّا التداولية فتنظر في قيمة هذا القول خارج العالم اللساني »[2]؛ أي أنّ الأسلوبية لا تتعدى في مفهومها قيمة القول اللغوي، أمّا التداولية تراكمت قيمته في مدى تأثره بالعالم الخارجي.

7 – التداولية وتحليل الخطاب: « ويشتركان أساساً بتحليل الحوار، ويقتسمان عدداً من المفهومات الفلسفية واللغوية كالطريقة التي توزّع بها المعلومات في جمل أو نصوص، وكذا العناصر الإشارية والمبادئ الحوارية »[3]؛ أي أنّ التداولية وتحليل الخطاب يتقاطعان في كيفية بناء النصوص وتحليلها.

1- صابر حباشة ، أسئلة الدلالة و تداوليات الخطاب، ص: 130.

2- عماد يحي الحيالي، أشواق محمد إسماعيل النجار، الاقتضاء التداولي و أبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، جامعة الموصل، كلية الآداب، ص: 03.

3- محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 11.

8- التداولية وعلم اللغة النفسي: « ويشارك التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في آدائهم، مثل: الانتباه والذاكرة الشخصية »[1]؛ لأنّ التداولية أيضا تبحث في الحالة النفسية والذهنية التي يصدر عنها الخطاب.

9- التداولية وعلم اللغة الاجتماعي: « ويشاركها في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعها »[2]؛ فهي ترتبط معه في العلاقات الخارجية التي تؤثر في العملية التواصلية.

تُعتبر التداولية العلم الذي يتشرب من مختلف العلوم ويتخذها روافد في البحث عن العلاقة بين المخاطِبْ والمخاطَبَ والخطاب ومدى تأثرها بالمواقف والسياقات التي تجرى فيها العملية التواصلية، كما تسعى التداولية إلى سلامة الحوار من التشويش فراعت كل ما يمس هذه العملية سواء ما هو لغوي أو ما هو خارج عن نطاق اللغة.

1- محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص: 11.

2- المرجع نفسه، ص: 10.

نظرية أفعال الكلام :

يُعتبر مفهوم الأفعال الكلاميّة مفهوماً متميزاً، حيث يأخذ موقعاً هامّاً في المذهب اللّساني التّداولي الجديد، وهذا بتصريح العلماء الغربيّين المؤسّسيين للتّداولية أنفسهم، وقد أضحى نواة مركزيّة لكثيرٍ من البحوث التّداولية، وعليه فإنّ البحث في هذا الموضوع هو أُولى أولويّات التّداولية اللّغوية وأساس من أكبر أسسها[1] فقضية فعل الكلام هي ما يركّز عليه التّداوليون في الخطاب .

و قد بُحثت ظاهرة الأفعال الكلاميّة في تراثنا العربي ضمن نظرية الخبر والإنشاء، واشتغل ببحثها عدد كبير من العلماء، ومن ثَمّ صار لزاماً على من يدرسها أن يَتَبَّع أُصولها وتطبيقاتها في مؤلّفات عدد من العلماء الذين أسّسوا هذه الظّاهرة في تراثنا أو عمّقوا البحث فيها، ومن النّحاة والبلاغيّين الّذين تعرّضوا لها: **سيبويه** (ت180هـ) في (الكتاب) و **عبد القاهر الجرجاني** (ت471هـ) في (دلائل الإعجاز) و**السّكاكي** (ت626هـ) في مفتاح العلوم و **الاستربادي** (ت686هـ) في (شرح الكافية في النحو) و **القزويني** (ت739هـ) في (الإيضاح في علوم البلاغة) و **محمد بن علي الجرجاني** (769هـ) في (الإشارات والتّنبيهات في علم البلاغة) و**التفتازاني** م(ت796هـ) في (مختصر على تلخيص المفتاح) و **الشريف علي بن محمد الجرجاني** (ت812هـ) في (التّعريفات) [2] .

الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية:

يحتلّ الفيلسوف الأمريكي "**جون سيرل**" موقع الصّدارة بين أتباع " **أوستين** "، فلقد أعاد تناول نظرية "**أوستين** " و طوّر فيها بعدين من أبعادها الرئيسيّة هما " المقاصد و المواضعات " وبالفعل يمكننا اعتبار الأعمال اللّغوية و الجمل التي أُنجِزتْ بواسطتها وسيلة تواضعيّة للتّعبير عن مقاصد ما

1- ينظر : مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 05.

2- ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، الرباط، المغرب، منشورات عكاظ، 1989م، ص: 05.

وتحقيقها، وهذا المظهر كان حاضراً لدى " **أوستين**[1]؛ أي المعاني المرادة بهذه العبارات و مدى ملاءمتها للمقام الّذي قيلت فيه .

لا يهتمّ **سيرل** إلاّ بالأعمال المتضمّنة في القول، ويتمثّل إسهامه الرّئيسي في التّمييز داخل جملة بينما هو متّصل بالعمل المتضمّن في حدّ ذاته، وهو ما يسمّيه القوة المتضمّنة في القول، أمّا ما يتّصل بمضمون العمل؛ فيسمّيه المحتوى القضوي ومثال ذلك: قولك: (أعدُك بأن أحضر غداً) نجد أنّ (أعدك) هو واسمُ القوّة المتضمّنة في القول، و (أن أحضر غداً) هو واسِمُ المحتوى القضوي، إذاً فإنّ القائل الّذي يتلفّظ بهذه الجملة يقصد في المقام الأوّل الوعد بالحضور، ويحقّق هذا المقصد بفضل قواعد لسانيّة تواضعية تحدّد دلالة تلك الجملة، وهذه الجملة من أجل تبليغ قصدٍ ما للمخاطب وهذا المخَاطَبْ على معرفة بالقواعد المتحكّمة في معنى عبارات اللّغة التي يتكلّمانها إذًا على هذا النّحو نجد للقائل مقصدين هما :[2]

1- الوعد بالحضور غداً .

2- إبلاغ هذا المقصد من خلال إنتاج جملة (أعدك بالحضور غداً) بموجب القواعد التّواضعية المتحكّمة في تأويل هذه الجملة في اللّغة المشتركة .

و يتمثّل الإسهام الثّاني " **لسيرل**" في « تحديده للشّروط التي بمقتضاها يكلّل العمل المتضمّن في القول بالنّجاح، فيميّز بين القواعد التّحضيرية ذات الصّلة بمقام التّواصل و قاعدة المحتوى القضوي والقواعد الأوّلية المتعلّقة باعتقادات تمثّل خلفيّة معيّنة، وكذا قاعدة النّزاهة ذات الصّلة بالحالة الذّهنية للمتكلّم، والقاعدة الجوهريّة التي تحدّد نوع التّعهّد الّذي قدّمه أحد المتخاطبين وقواعد المقصد

1- ينظر: آن روبول، جاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص: 33.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 33.

والمواضعة التي تحدّد مقاصد المتكلّم و الكيفيّة التي تنفّذ بها هذه المقاصد بفضل المواضعات اللّغوية »[1]؛ أي يجب على المتكلّم أن يوفي بكلامه بموجب هذه التّعهّدات وفقاً لمواضع معيّنة .

ومن هنا نجد أنّ سيرل قد« سَيَجَّ نجاح العمل المتضمّن معنى القول بجملة من الحدود والفواصل التي تحيط بالمتخاطبين ونوع الخطاب ومقصديّته ومجموع الخلفيّات المعرفيّة لدى المتكلم والمخاطب»[2]؛ أي وجود السّقف المعرفي بين المتخاطبين حتّى تصل العملية التّواصليّة لهدفها .

يصحّ اعتبار نظريّة أفعال الكلام العامّة "**لأوستين**" أوّل محاولة جادّة تتجاوز الطّرح الأرسطي في كتابه "الخطابة"، للقول الخطابي والدّراسة البلاغيّة بإعادة تنظيم منطق اللّغة الطّبيعيّة على ضوء الدّراسات اللّسانية[3]؛ "**أوستين**" طبّق النّظريّات اللّسانيّة الحديثة على اللّغة الطّبيعيّة فخرج بنظريّة أفعال الكلام التي تؤدّي مهمّتها في العبارة .

و يبدو أنّ "**أوستين**" قد استمدّ أسس النّظرية من تكوينه الفلسفي العميق كما ترجم كتاب " أسس الحساب" لـ "**غوتلوب فريجة** "، ولم يكن **أوستين** ليدخل في صراعٍ مع هذا التّيار و فضّل متابعة التّفكير اللّساني وخاصّة مع علماء لسانيّين أونتروبّولوجيّين، مثل: "**بواس**"، "**سابير**"، و"**وورف**" وقد كانت أعمالهم قد توصّلت إلى نتائج بالغة الأهمّية حول أثر اللّغة على ثقافة الشّعوب البدائيّة وأنّ بنية اللّغة و الفكر أمر واحد، ومن ثمّ فاللّغة ليست أداة أو وسيلة للتّخاطب والتّواصل فحسب.

وإنّما هي وسيلة للتّأثير في العالم وتغيير السّلوك الإنساني من خلال مواقف كليّة[4]. اعتبر أنّ اللّغة تجاوزت المجال التّواصلي إلى التّأثير في العالم وتفاعل الإنسان مع تأثير مواقف مختلفة .

كما استفاد " **أوستين** " من تطوّر نظريّات القانون الإداري لصياغة نظريّته العامّة في الأفعال الكلاميّة، إنّ الأفعال والتّصرّفات عند علماء الكلام لا تتّضح و لا تنكشف قيمتها من جديد إلاّ في

1- آن روبول، جاك موشلار، التداولية علم جديد في التواصل، ص: 34.

2- المرجع نفسه، ص: 34.

3- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، تر، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991م، ص: 05.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 06.

ضوء نظريّة أفعال الكلام العامّة عند "**أوستين**" يرشدنا عند ذلك مثلاً تصنيفه لفعل الكلام الأصلي أو العبارة، فهو يقترح أنْ يُنْظَر في الفعل اللّغوي كجنس عام، من ثلاث جهات: التّلفظ، النطق ، الخطابة.

ويختصّ فعل التّلفظ بمخارج الحروف المادّية، و يتعلّق فعل النّطق بمقاصد العبارة، أمّا فعل الخطاب فيهتمّ بمقاصد المتكلّم الخارجة عن العبارة المفهومة من السّياق، ومن هنا يُرجع أفعال الكلام إلى ثلاثة أنواع: فعل كلام، قوّة فعل الكلام، ولازم فعل الكلام[1]. لقد ربط بين التّلفّظ والنّطق والخطابة في اللّغة بفعل الكلام وقوّة الفعل ولازم الفعل في التّداوليّة .

ولقد كان هذا التّقسيم مناسباً لأنّ "**أوستين**" « تَغَّلب على مسألة العلاقة بين إدراكنا لشيء ما كما هو في الواقع، وكمُعْطَى هناك، وبين ضروب الوصف التي نقوم بها إزاء ذلك الشّيء، وبين قولنا كلاماً حول شيء ما، وبين حركتنا و فعلنا إزاءه»[2]؛ لقد ربط "**أوستين**" بين الصّورة الذّهنيّة و الواقع وبين كلامنا عن شيء ما و الحركة المناسبة اتّجاه هذا الكلام .

فعل الكلام :

سعى " **أوستين** " لوضع برنامج يشتمل على قائمة الصّيغ الفعليّة الإنشائيّة الصّريحة و هو أمر يصعب فيه تميّز العبارات الإنشائيّة عن الخبريّة وبالتّالي يجب الرجوع إلى الوجوه والمعاني التي تتحصّل من كلامنا أنّ قول شيء ما يعني أنّنا تصرّفنا و فعلنا شيئاً ما أو هو تعلّق حصول المفعوليّة[3]؛ أي عندما نقول أمراً ما فكأنّنا فعلنا في ذات الوقت العمل المناسب للقول، فالقول والعمل حسب رأيه متلازمان و متزامنان، وأنّ هذه هي الدّلالة التي تجمع بين المعنى و المرجع .

1- ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص: 08.

2- المرجع نفسه، ص: 115.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 115.

« ومن هذا السّياق فإنّ دراسة العبارات المتلفّظ بها هي في الحقيقة ولنفس السّبب دراسة أفعال الكلام، وكان الاهتمام متّجهاً إلى فعل الكلام فذلك كان لغاية تمييزه عن سائر الأفعال الأخرى التي يصنّفها العلماء في :

1- الفعل الصوتي: وهو مجرّد التلفّظ ببعض الأصوات المحمولة في الهواء .

2- الفعل الكلامي: وهو النّطق ببعض الألفاظ والكلمات؛ أي إحداث أصوات مخصوصة، متّصلة على نحوٍ ما بمعجم معيّن وخاضعة لنظامه .

3- الفعل الخطابي: هو طريق تأدية الإنجاز وكيفيّته باستعمال تلك الألفاظ المقرونة إلى حدٍّ ما بالمعنى و المرجع »[1] .

وعلى هذا فالإنجاز الكلامي بوجه عام إن جاز هذا القول هو في ذات الأمر إنجاز لقوّة فعل الكلام كما اصطلح على ذلك ويتبين ذلك من خلال الأمثلة التّالية:

1- « قد نكون سائلين أو مجيبين عن سؤالنا .

2- قد نتناول في خبرنا أو تحذيرنا أو طمأنتنا للآخر غير ما طُلب منا.

3- قد نُصدر حكمًا تشريعيّاً أو نعلن عن إرادتنا.

4- قد ننطق بجملة يفهم منها أكثر ما أردنا.

5- قد نكون واضعين لتسمية ما، أو مستأنفين، أو منتقدين.

6- يحدث أن نصف أو أن نُعرّف، أو أن نماثل.

فعندما ننجز فعلاً كلاميّاً ما فنحن بالضّرورة نستعمل الكلام على كَمْ من وجه نكون بالضّبط مستخدمين له ؟»[2]؛ أي أنّ الفعل في حال إنجازه يجب أن يناسب الظّروف والمقامات التي يقال فيها.

1- أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص: 116.

2- المرجع نفسه، ص: 126.

« وقد سمّى " **أوستين**" الفعل المنجز بقوّة فعل كلام، ولكي يتحقّق فعل الكلام في صورته المطلوبة ينبغي أنّ نميّز فعل الكلام عن قوّة فعل الكلام وأن نفصلهما معاً عن لازم فعل الكلام »[1] .

ولازم فعل الكلام هو ما يتصرّف فيه المتكلّم أو ما يحيط به من متغّيرات و تأثيرات تساير كلامه.

إنّ قوّة الفعل الكلامي و لازم فعل الكلام يستلزمان معًا الاتّفاق والتّواضع، ويجب أن نقارنها والطّاعة تقع على هذا الوجه دون غيره لأنّها مبيّنة على اعتبار المواضعة والاتّفاق في انجازها كان المقصود بها المتابعة .

لازم فعل الكلام يتضمّن دائمًا بعض النّتائج كأن نقول: (بإنجاز- س – حصلنا على –ع) ونحن نؤدّي ما يمكن من استنتاج اللّوازم والنّتائج حتىّ أنّ بعضها قد يكون من التّوابع الملحقة غير المقصودة ولا المرادة [2] بمعنى لا بُدّ من مناسبة اللّوازم للنّتائج .

معايير تصنيف الأفعال الكلاميّة: هناك ثلاثة معايير صنّفت على حسبها الأفعال الكلاميّة لدى علماء التّداوليّة هي:

أ– **التّصنيف بحسب القوّة الإنجازيّة:** « وهو تصنيف **أوستين** حيث قسّمها إلى خمسة أصناف:

– **الأحكام أو الحكميّات:** و تتمثّل في الحكم الصّادر نحو: إصدار أمر أو تقويم أو تصنيف أو وصف.

1- - أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص: 126.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 127.

– **التّنفيذيّات**: هي أعمال تنفيذ الأحكام ولكنّها ليست في ذاتها حكميّات، لأنّها تتمثّل في اتّخاذ قرار معيّن نحو: التّسمية: تقول: سمّيته فلانًا، أو الوصيّة: تقول: أوصي بنصف مالي لمؤسّسة الرّعاية الاجتماعيّة»[1]؛ أو قال رجل يرغب ببيع بيته للمشتري أمام الحضور: بِعْتُكْ .

– « **الوعديّات**: هذا النّوع من الأفعال يُلزم المتكلّم بفعل شيء ما في المستقبل من نحو: أعدُ، أوافقُ، أقسمُ ...فالأمر يتعلّق بأعمال من طبيعة واحدة تُحْمَلُ على القول (سأفعل).

– **السّلوكيّات**: هي التي تكون ردّة فعل لحدث ما، نحو: الاعتذار، الشّكر، النّقد، الكره.

– **العرضيّات**: أعمال تختصّ بالعرض، لإيضاح وجهة نظر معيّنة، أو بيان رأي في مسألة على نحو: التّأكيد، النّفي، الإنكار، المحاجة، التّفسير ...

وكلّ فعل من هذه الأفعال هو عبارة عن ثلاثة أفعال (لفظي، إنجازي، تأثيري)»[2]؛ أي فعل الصّيغة وما يؤدّيه و طريقة تأثيره في المخاطَبْ .

« وأهمّها عنده الفعل الإنجازي، لأنّ قصد المتكلّم يوجّه إليه »[3]، فقد يُحَذِّر أو يستفهم أويَعِدْ ...فقولنا في التّحذير مثلاً:(الأسد الأسد)؛ أي ينهاه أن لا يقرب الأسد، فالنّهي عنده هو التّحذير .

وهذا العمل اللّغوي بحسب " **أوستين** " عبارة عن ثلاثة أفعال، الأوّل يتمثّل بالصّيغة الأدائيّة المعمولة لفعل مضمر للتّعجيل في الاستجابة، والثّاني هو الفعل الإنجازي المتمثّل في وظيفة الصّيغة في التّواصل وإنجاز العمل، وهو ما يقصده المتكلّم بقوله للتّحذير من الخطر، وأمّا الثّالث فيتعلّق

1- لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً مقاربة تداولية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج. 16، ع.1، 2013م، ص: 51.

2- المرجع نفسه، ص: 51.

3- المرجع نفسه، ص: 51.

بالأثر الّذي يتركه فعل القول في المخاطب وردّة فعله كالفزع، الهرب أو ما إلى ذلك[1] فالعبارة عند **أوستين** تقوم على ثلاثة أفعال حسب تصنيفها المذكور .

ب– **التّصنيف بحسب الغرض الإنجازي:** وهو تصنيف "**سيرل** " تلميذ " **أوستين**" .

يرى "**سيرل**" أنّ " **أوستين**" قد صنف أفعالاً ولم يصنّف أعمالاً، ما دفعه إلى إعادة تصنيف " **أوستين**" بطريقة أخرى، وعلى وفق معايير صريحة وخارجة عن العلامات اللّغوية، وقد اعتمد ثلاثة أسس منهجيّة في تصنيفه هي[2].

أ/ الغرض الإنجازي.

ب/ اتّجاه المطابقة.

ج/ شرط الإخلاص.

وقد صنّف الأفعال الكلاميّة إلى خمسة أصناف أيضاً:

الإخباريّات: الهدف منها تطويع المتكلّم حيث الكلمات تتطابق مع العالم، والحالة النّفسيّة هي اليقين بالمحتوى، مهما كانت درجة القوّة، نحو:(أتى محمد بالأمس).

الطّلبيّات أو الأوامر: ويكون الهدف منها جعل المخاطب يقوم بأمر ما، حيث يجب أن يطابق العالم الكلمات، وتكون الحالة النّفسية رغبة أو إرادة ويدخل في هذا الصّنف الأمر، الرّجاء، النّصح، الاستفهام ...

الوعديّات: محتواها جعل المتكلّم ملتزما بإنجاز عمل ما، وحيث يجب أن يطابق العالم الكلمات، وحيث الحالة النّفسية الواجبة هي صدق النيّة، نحو: (سوف آتي)[3]؛ وتعني الالتزام بالوعد.

1- ينظر: - لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً مقاربة تداولية ، ص: 52.

2- ينظر- المرجع نفسه ، ص: 52.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 53.

الافصاحيّات أو التعبيريّات: وهنا يكون الهدف هو التعبير عن الحالة النّفسية بشرط أن تكون هناك نية صادقة، وحيث لا تكون مطابقة بين الكون والكلمات نحو قولك: (اعذرني) .

التصريحات: والهدف منها إحداث واقعة، والتوافق بين الكلمات والعالم مباشر، دون تطابق، مع لحاظ المشروعيّة المؤسّسية والاجتماعية، نحو: (أعلن الحرب عليكم)، فالّذي يصدر عنه هذا الأمر لابدّ من سلطة تؤهّله.

و« رأى **سيرل** أنّ فعل الكلام هو عبارة عن أربعة أفعال(لفظي، قضوي، إنجازي، تأثيري)»[1]

وبذلك أضاف إلى التّصنيف السّابق الفعل القضوي الّذي هو القضيّة المشتركة بين المتخاطبين، إذ وجد أنّ الغرض الإنجازي ليس واحداً، بل قد يتعدّد ويتنوّع لقضيّة واحدة ومثال ذلك:

- « يا محمّد تَرَشَح للانتخابات .
- ألم يرشِح محمد للانتخابات ؟
- لو يُرشح محمد للانتخابات !

فالغرض الإنجازي للجمل الثّلاث ليس واحداً، بل متعدّداً، ففي الأولى طلب وفي الثّانية استفهام، وفي الثّالثة تمنّي، أمّا القضيّة فهي واحدة أي التّرشيح للانتخابات .

وبهذا التّوصيف يكون الفعل الكلامي عند " **سيرل**" قضيّةً وموضوعًا»[2]

1- لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً مقاربة تداولية، ص: 53.

2- المرجع نفسه، ص: 54.

ج– **التّصنيف بحسب المقام أو السّياق :**

« أدرك أصحاب هذا الاتّجاه أن المعنى الحرفي وحده غير كافٍ لإيصال الغرض، بل لابدّ من النّظر في السّياقات التي تحفّ الكلام »[1]؛ أي أنّ العبارة الخطّية لا تكفي بدون سياقاتها التي قيلت فيها.

« فقد تتعدّد القوّة الإنجازيّة، ويكون للجملة الواحدة أكثر من غرض إنجازي، منه ما نصّت عليه الصّيغة التّركيبية بمعنى حرفي ظاهر، ومنه ما يحتاج إلى استدلال وتحليل لسياق الكلام وملابسات القول »[2].

وقد يجتمع في جملة واحدة أكثر من غرض إنجازي نحو قوله تعالى ﴿ **قالوا أَأَنتَ فَعَلتَ هذا بِآلِهَتِنا يا إبراهيمُ** ﴿٦٢﴾ [3].

وكذلك قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ**...﴾ [4].

فالمعنى الحرفي في الآيتين هو الاستفهام بدلالة حرف الاستفهام (الهمزة) واسم الاستفهام (كيف) المصرّح بهما، أمّا المعنى غير المباشر في الجملة الأولى فهو الإنكار، وفي الثّانية التعجّب.

وقد يكن للتّنغيم أو النّبر الجملي الأثر في توجيه المعنى غير المباشر، وهو فعل تواصلي غير لغوي

ثمّ أعاد "**ليتش**" تصنيفها على أساس علاقتهما بالهدف الاجتماعي، بتفعيل مبدأ التأدّب فجعلها أربع درجات.

« **أفعال التّنافس**: هي التي يغلب فيها الهدف الإنجازي الهدف الاجتماعي مثل: الأمر والسؤال

1- لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً مقاربة تداولية، ص: 54.

2- المرجع نفسه، ص: 54.

3- الأنبياء: [62].

4- البقرة: [28].

أفعال المناسبات: وهي التي يتطابق فيها الهدفان، الإنجازي والاجتماعي مثل: التّهنئة، الدّعوة الشّكر، التّحية.

أفعال التعاون: وهي التي لا تتأثّر أفعالها الخطابية بأهدافها الاجتماعية مثل: التّبليغ، التّعليمات التّصريحات.

أفعال التّعارض: وهي التي تتعارض أهدافها مع الأهداف الاجتماعية مثل: التّهديد، الإتّهام»[1] .

مجالات التّداوليّة:

أفعال الكلام:

1- المفاتيح والرّوابط.

2- التّضمينات المنطقيّة.

في مضمون أفعال الكلام يتمّ التّمييز بين أفعال الكلام الفعليّة وأفعال الكلام الوصفيّة.

ملفوظ نموذجي مثل: « (فتحت الجلسة) الّذي يصدر دائمًا على لسان رئيس الجلسة أثناء المحاكمات، هذا الملفوظ يعتبر بمثابة فعل لأنّه يغيّر الوضعيّة القائمة من وضعيّة تسودها الحرّية المطلقة إلى وضعيّة تتميّز بالانضباط »[2] فالفعل الكلامي يؤدّي إلى تكييف الواقع حسب ما يتطلّبه هذا الفعل وما يفهم من العبارة المستعمل فيها .

أمّا مجال الرّوابط والمفاتيح « فيتمّ التّمييز بين الرّوابط على مستوى الجمل وهي الوظيفة العادية للرّوابط، والرّوابط على مستوى أفعال الكلام، الوظيفة الأولى هي من اختصاص النّحويين أمّا الثّانية فهي من اختصاص من يريد تحليل أفعال الكلام لمعرفة غايات الخطاب، لكن للقيام

1- محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، دراسة التداولية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014، ص: 13.
2- بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية، ص: 115.

بهذا التّحليل يحتاج المحلّل إلى بعض المفاتيح التي تساعده على فهم الطّريقة التي بواسطتها يتمّ تصريف فعل اللّغة كلغة إلى فعل ذو دلالات خاصّة وهذه المفاتيح نجد فيها:

- ضمائر المتكلم: أنا /أنت ...

- ضمائر المكان والزمان: هنا / الآن ...

تعتبر هذه المفاتيح غير كافية لوحدها لأنّ الخطابات هي كذلك تضمينات منطقية ومجالات مفتوحة على البنيات العميقة والخلفيّات بالملفوظ مثل »[1].

(ألا يمكنك مناولتي الكتاب الّذي بقربك؟) هو ليس سؤالا بل طلب والّذي يحقّق له شروط الطّلب هو مبدأ الاعتقاد في المشاركة.

هذه الأدوات والمجالات بالإضافة إلى أدوات أخرى كالنّفي وما هو مسكوت عنه بداخل الكلام كلّها تتوّظف كتقنيات لتحليل الخطاب بداخل مجال التّداوليّة، لهذا فتحليل أفعال اللّغة يستدعي الإحاطة بشروط وظروف التلفّظ من جهة وبوضعيّات التلفّظ من جهة أخرى .

نظرية التلفظ:

إنّ أي إنتاج لغوي هو في: « الجوهر إنتاج لوضعيّة تواصلية ذاتيّة ومتفرّدة وليس مقطعًا من مقاطع اللّغة الطّبيعية التي يتداولها الإنسان، والتّداول الحقيقي لمقطع من مقاطع اللّغة يتطلّب توفّر أربعة عناصر:

1- متلفّظ.

2- وضعيّة تواصلية.

3- زمان ومكان.

1- بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية، ص: 115.

4- متلفّظ لعملية التلفّظ»[1]؛ فالعمليّة التّواصلية تقوم على هذه الأسس الأربعة حتى تحصل بها الفائدة.

وكما يتّضح من تحديد العناصر الأربعة « فإننّا أمام بعد لغوي تمّ غضّ الطّرف عنه من طرف اللّسانيات المهتمّة باللّغة فقط وقد أصبح هذا البعد في تطوّر مستمّر خلال العشرينات الأخيرة للقرن الماضي وهو امتداد لأعمال " **رومان ياكبسون**" و" **إميل بنفنيست**" إذ بإدماج العناصر الأربعة يتّضح أنّ التلفّظ هو الاستعمال الفردي للّغة وأيّ استعمال فردي سيستدعي توضيح كلّ العوامل الموظّفة بداخل فعل الكلام والتي يمكن حصرها كالتّالي»[2].

1- الطّابع الفيزيولوجي للتلفّظ.

2- المحيط الاجتماعي والمستوى المادّي.

3- المحفّزات النّفسية والعاطفيّة.

كلّ هذه العناصر ليست هي العناصر التي يهتمّ بها اللّسانيون فقط، وهمّهم الوحيد عندما يتناولون التّداول اللّفظي وهو تقديم الفعل التلفّظي كمجموعة من البصمات، يتركها المتكلم بشكل لا شعوري بين ثنايا النّص الملفوظ سواءً أكانت هذه البصمات كلمات أوعبارات[3]؛ بمعنى أنّ الخطاب بمجرّد صدوره يكون له أثر شعوري ما.

إنّ موقف اللّسانيّين هذا منسجم مع موضوع دراستهم، لأنّه إذا كان فعل التلفّظ فعلاً فرديًا يتمّ إنجازه في ظروف محدّدة فكيف سيشغل هذا اهتمام اللّسانيين الّذين ينحصر موضوع اهتمامهم فقط في اللّغة كنسق، فإذا اعتبرنا مثلاً الملفوظ المنسوب للحجّاج (لقد رأيت رؤوسًا أينعت وحان وقت قطافها) لن يجد الدّارس اللّساني في هذا الملفوظ سوى كلام بالمعنى السّوسيري للمصطلح لكن

1 - بودريس درهمان، مدخل إلى نظرية التداولية، ص: 116 .

2 - المرجع نفسه، ص: 116 .

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص: 117.

المؤرّخ في تناوله لهذا المقطع يجدر به دراسة هذا الملفوظ في تفردّه لتحديد الظّروف والغايات التي كانت السّبب وراء إنتاجه[1]

إنّ هذا الاختلاف الحاصل بين مناهج المؤرّخين واللّسانيين هو الّذي دفع بالنّظريات اللّسانية للتّداول إلى البحث في الآليّات التي تحوّل اللّغة كملك جماعي لكلّ أفراد المجتمع إلى خطاب ينتجه فرد بدلالات خاصّة .

هكذا فالتّداولية هي مجال تحليل الخطاب بأدوات لسانيّة خالصة لأنّها ترفض التّقسيم بين ما هو لغوي محض وبين ما هو خارج اللّغة[2] .

الأفعال الكلاميّة عند البلاغيّين واللغويين العرب:

تندرج ظاهرة (الأفعال الكلاميّة) ضمن مباحث (علم المعاني) تحديداً ضمن الظّاهرة الأسلوبيّة المعنونة بـ(الخبر والإنشاء) وبذلك يمكننا اعتبار (نظرية الخبر والإنشاء) عند العرب من الجانب المعرفي العام مكافئة لـ: مفهوم (الأفعال الكلامية) عند المعاصرين .

وقد اهتمّ جلّ البلاغيّين العرب بالقرينة التّداولية الكبرى التّي سمّوها الإفادة، يقول **ابن خلدون** في ذلك: « هذا العلم الحادث في الملّة بعد علم العربيّة واللّغة، وهو من العلوم اللّسانية لأنّه متعلّق بالألفاظ وما تفيده، ويقصد الدّلالة عليه من المعاني ...ويبقي من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدّلالة عليه لأنّه من تمام الإفادة، وإذا حصلت للمتكلّم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه، وإذا لم تشتمل عليه منها فليس من جنس كلام العرب، فإنّ كلامهم واسع، ولكل مقامٍ عندهم مقال يختصّ به بعد كمال الإعراب والإبانة »[3] .

1 – ينظر: بودريس درهمان، مدخل إلى نظرية التداولية، ص: 117.

2 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 118.

3- ابن خلدون ، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، 1992م، ط.11، ص: 550.

وقد قسّم البلاغيّون العرب الكلام إلى (خبري) و(إنشائي) وكلاهما له علاقة بـ(حال الخطاب والمقام) وأنّ الكلام في مجمله تتحكّم فيه عناصر التّداولية من مراعاة للخلفيّات المشتركة بين المتخاطبين، ودور عناصر السّياق والمقام المشترك بينهم .

إضافة إلى أنّ المعايير المتّخذة كأساس للتّمييز بين (الخبر) و(الإنشاء) تعدّدت واختلفت باختلاف العصور والمراحل، كما اختلفت أيضا الأدوات التّحليلية، وتنوّعها بين (منطقية) و(تداولية) فلم يتحقّق الاستقرار في معايير التّصنيف و المفاهيم ككلّ إلاّ في مرحلة لاحقة .

كما أنّ العرب من نحاة وبلاغيّين لم يتّفقوا على مسمّى واحد للإنشاء، والشّاهد على ذلك **رضي الدّين الإستربادي** الّذي يصرّح « بأنّ الجملة (غير الخبرية) إما إنشائيّة نحو: بعت وطلّقت، أو طلبيّة كالأمر والنّهي، والاستفهام والتمنّي»[1] فجعل الإنشاء قسما للطّلب فكلاهما يخالف الخبر وجعل لهما حيّزا كلامياً ما يعرف بألفاظ العقود مثل: بعت،طلّقت وبذلك يقارب ما يعرف بـ(الإيقاعيّات) في إصطلاح " **سيرل** "؛ أي أنّ الإنشائيّات عنده ما ينتمي إلى مجموعة الإيقاعيّات عند **سيرل** والطّلبيّات عنده ما ينتمي إجمالا إلى مجموعة (الأمريّات) عند **سيرل** .

أمّا الكتب البلاغيّة منذ **الخطيب القزويني** (ت739) فقد صنّفت تحت باب الإنشاء كلّ ما لم يكن خبراً من الجمل المفيدة .

معايير التّمييز بين الخبر والإنشاء:

1- **المعيار الأوّل**: التّميّز بحسب قبول الصّدق والكذب، فيقول **السّكاكي**: « أنّ الخبر ما يكون محتملا للصّدق والكذب »[2] .

1- رضي الدين الاستربادي، شرح الكافية, تح. رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، 2000م، ص: 24.

2- السكاكي، مفتاح العلوم، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م، ص : 166.

أمّا بالنّسبة للإنشاء فهو خلافه؛ أي أنّه لا يحتمل الصّدق والكذب فقولك: « قل الحقّ لا يصحّ أن يقال لقائلها إنّه صادق أو كاذب، لأنّ قول الحقّ لم يقع قبل النّطق بالجملة »[1]

2 – **المعيار الثّاني**: التّمييز بحسب مطابقة النّسبة الخارجيّة فالخبر عندهم هو الكلام التامّ المفيد أو الخطاب التّواصلي الّذي لنسبته الكلاميّة نسبة خارجيّة، وأنّ الإنشاء ليس له تلك النّسبة .

فالنّسبة الكلاميّة إذن تقبل الصّدق و الكذب إذا كان لهما قرين أو مرجع، وهو بالنّسبة الخارجيّة (في الواقع الخارجي عن اللّغة تطابقه أو لا تطابقه).

والعلاقة بين هاتين النّسبتين هي أنّ الأولى تصف الثّانية سواء كان التّصوير مطابقا للواقع أو غير مطابق وهذه النّسبة الكلاميّة (الخطاب) لا تقبل الصّدق والكذب إلاّ في حال وجود حقيقة مرجعيّة في الواقع يتمّ وصفها وصفا إمّا صدقا أو كذبا، وتسمّى حينئذ خبراً .

والكلام الإنشائي ليس له تلك الحقيقة المرجعيّة في الواقع الخارجي عن اللّغة (النّسبة الخارجيّة) ومن ثمّ فنسبة الجملة الإنشائية نسبة لغويّة محضة، وهي نسبة واحدة تتسبّب في نشوء نسبة ثانية.

3 – **المعيار الثّالث**: التّمييز بحسب إيجاد النّسبة في الخارج حيث أنّ البلاغيّين العرب قد ميّزوا بين الخبر والإنشاء، في كون الأوّل يقبل الصّدق والكذب لأنّ له خارج يطابقه، أولا يطابقه، وأنّ الإنشاء لا يقبل الصّدق والكذب لأنّ لا خارج له ويقول **القزويني**:« ووجه الحصر أنّ الكلام إمّا خبر أو إنشاء، لأنّه إمّا أن يكون له خارج يطابقه أو لا يطابقه، أو لا يكون له خارج، الأوّل: الخبر، والثّاني: الإنشاء »[2] .

ثمّ أدخلوا مفهوم القصد، فالخبر والإنشاء كلاهما له خارج، لكن المقصود من الخبر أن يطابق ذلك الخارج، وليس المقصود من الإنشاء أن يطابق ذلك الخارج .

1- عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.5، 2001م، ص: 13.
2- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية، ط.3، ص: 15.

ويقول في هذا الصّدد **ابن يعقوب المغربي**: « الكلام التامّ الّذي يحسن السّكوت عليه يتضمّن نسبة المسند إلى المسند إليه، فإن كان القصد من الدّلالة على أنّ تلك النّسبة حصلت في الواقع فذلك الكلام خبر، وإن كان القصد منه الدّلالة على أنّ اللّفظ وُجدت به تلك النّسبة فالكلام إنشاء »[1].

وبالتّالي نلاحظ أنّ البلاغيّين العرب قد التفتوا إلى بعض الوظائف التّداولية كمراعاة غرض أو(قصد) المتكلّم وضرورة الرّبط بين الخطاب وملابساته، فيميّزون بين المقامات المختلفة في (الاستعمال الفعلي للّغة).

وقد انتهوا إلى التّمييز بين الخبر و الإنشاء في كون الخبر « هو الخطاب التّواصلي المكتمل إفادياً والّذي يريد المتكلّم نسبته الكلاميّة أن تطابق نسبته الخارجيّة»[2].

والإنشاء:« هو الخطاب التّواصلي المكتمل إفادياً والّذي يريد المتكلّم من نسبته الكلاميّة أن توجد نسبته الخارجيّة »[3]؛ أي ربط ما في العبارة بواقعها الخارجي .

ويمكننا عرض بعض التّقسيمات للخبر و الإنشاء حسب مراحل تطوّر الدّرس البلاغي العربي .

أ- **التقسيم الإجمالي**: « لقد استطاع **الفارابي** (ت339) أن يُضيف العبارات الكلاميّة الصّادرة عن الإنسان إلى صنفين كبيرين هما(عبارات القول) و(عبارات الفعل) وبذلك بدأ "**أوستين** " من اعتبار المخاطبات نوعين :

1- **أقوالاً**: وهي التي تتمّ بمجرّد تحريك الشّفاه للتّواصل مع الآخر والتّعبير عمَّا في النّفس .

1 - ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، ج1، ص: 168.

2 - مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر، الجزائر، ط.1، 2008. ص: 82.

3 - المرجع نفسه، ص: 82.

2- **أفعالاً تتمّ بالأقوال**: ويراد بها حمل المخاطب على فعل شيء ما وبذلك يقترب **الفارابي** من مفهوم (الملفوظ الإنجازي) الّذي تحدّث عنه " **أوستين** " و"**سيرل**" وعبّر عنه " **الفارابي**" بالقوة الذي يعتبر من المقولات التداولية المعاصرة»[1].

ب- التقسيم التفصيلي لـ (الخبر) و(الإنشاء):

لم يكتف البلاغيّون بالتّقسيم الإجمالي للخبر والإنشاء بنوعيه الطّلبي وغير الطّلبي، بل قّسموا كلامنا إلى أقسام فرعيّة كالتّالي:

القسم الأول: الخبر

تقسيم "إبراهيم النظام" (ت231هـ): قسّم الكلام إلى (خبر) و(طلب) على أساس معيار الصّدق والكذب، وقد فرّق بينهما بأنّ صدق الخبر مطابقته لاعتقاد المخبر، سواء طابق الواقع أم لم يطابقه، وكذب الخبر عدم مطابقته لاعتقاد المخبر سواء لم يطابق الواقع أم طابقه[2].

ونظرة "**النّظّام**" هذه هي نظرة تداوليّة وتظهر جليّا من خلال تفسيره لظاهر الآية الكريمة ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾**[3]؛ أكّد الله تعالى كذبهم في قوله: (لنشهد إنّك لرسول الله) مع أنّه مطابق للواقع فالنّبي صلّى الله عليه وسلّم: رسول الله حقيقة، فلو كان (الصّدق) مطابقة الواقع لما صحّ هذا[4]؛ فهو هنا قام بتفكيك العبارة إلى:

« محتوى قضوي: وهو: (إنّك لرسول الله) وبيّن مضمون المطابقة للقوة الإنجازية أو واسم المحتوى القضوي (لنشهد) إذن: فالنّسبة الكلاميّة (إنّك لرسول الله) لا تطابق النّسبة الذّهنيّة أو

1- الفارابي، الحروف، تح. محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط. 2، 1990، ص: 162.
2- ينظر: الدسوقي، شرح مختصر التفتزاني، ص: 166.
3- المنافقون: [1].
4- ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح. عبد الحميد هنداوي، ص: 107.

النفسية؛ أي ما هو في نفوسهم على الرّغم من مطابقتها (النّسبة الخارجيّة المرجعيّة) وهي أنّ محمداً رسول الله حقيقة.

تقسيم "الجاحظ": يرى أنّ الخبر الذي يوصف (بالصّادق) هو ما يكون مطابقا للواقع، مع اعتقاد صاحبه أنّه مطابق، ويوصف (بالكاذب) إذا كان غير مطابق للواقع مع اعتقاد صاحبه أنّه غير مطابق »[1] وبالتّالي يكون لدينا:

« الخبر الصّادق: ما كان مطابقا للواقع مع اعتقاد المتكلم بأنّه مطابق له.

الخبر الكاذب: ما كان غير مطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم بأنّه غير مطابق له.

ويأتي الخبر لا صادقا ولا كاذبا وهو صنفان:

1- المطابق للواقع، سواء مع اعتقاد المتكلّم أنّه غير مطابق أو بدون اعتقاده.

2- غير مطابق للواقع، سواء مع اعتقاد المتكلّم أنّه مطابق أو بدون اعتقاده، وفي ذلك يحتكم "**الجاحظ**" في نفي الحكم على صدق (الخبر) أو(الكذب) إلى:

- مطابقة الواقع.
- اعتقاد المخبر أو قصده.

ومعيار "**الجاحظ**" (اعتقاد المتكلّم وقصده)، يشبه أو يقارب معيار "**سيرل**" وهو شرط (الصّراحة) الّذي صنّف به (الأفعال المتضمّنة في القول), كما يلتقي **الجاحظ** في هذه الرّؤية التّداولية "**بالدّوسقي**" و"**الّسبكي**" حين أدرجا (قصد) المتكلّم في التّمييز بين الخبر والإنشاء»[2].

1- التفتزاني، المطول في شرح تلخيص المفتاح للقزويني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1944، ج. 1، ص: 40-41.

2- المرجع نفسه، ص: 42.

القسم الثّاني: الإنشاء:

- قسّمه البلاغيّون كما ذكرنا آنفا إلى " طلبي " و" غير طلبي "

1 – الإنشاء الطّلبي: يشتمل هذا الضّرب عندهم ظواهر أسلوبية متعدّدة، نعرضها في ما يلي:

- **الأمر والدّعاء والالتماس:** ممّا تعارف عليه البلاغيّون وغيرهم في تقسيم الطّلب بحسب منزلة المتكلّم بالنّسبة للمخاطب فإنّ الطّلب يكون (أمرا) مع استعلاء المتكلّم على المخاطب، ويكون (التماسا) مع تساويهما ويكون (دعاء) مع خضوع المتكلّم[1]؛ ويصّور هذا التّقسيم (للإنشاء الطّلبي) (التّوجّه التّداولي) إذْ تُراعى علاقة المتكلّم بالمخاطب.

وقد أوضح "**سيرل**" بمثال الطّلب الصّادر من عميد إلى جندي بسيط بتنظيف الغرفة وهو أمر لأنّه صادر من متكلّم أعلى درجة من المخاطب في حين نفس الطّلب من جندي بسيط إلى العميد، لم يكن أمرا بل هو(طلب) أو(اقتراح) أو (رجاء) فـ "**سيرل**" يشترط في تحقّق الأمر الإداري أن يكون طلبا ناشئا عن كلّ من العلوّ والاستعلاء[2]؛ أي أنّ المعنى يتغيّر حسب نوعيّة المتخاطبين.

كما ينبغي أن يشير إلى أنّ « كلاّ من (الدّعاء) و(الالتماس) أغراض تواصليّة ووظائف خطابيّة تؤدّى بصيغة (الأمر) أو(النّهي) على مقتضى قاعدة (خروج الأسلوب عن مقتضى الظّاهرة)»[3]؛ قد تخرج هذه الأفعال إلى معان مختلفة غير الدّعاء والالتماس.

الأمر والنّهي: لقد اهتمّ البلاغيّون وكذا النّحاة العرب بصيغ الأساليب الإنشائيّة عموما، ولا سيما صيغ (الأمر) و(النّهي) باعتبارهما أظهر في الدّلالة على الإنشائيّة، وبما تحمله الصّيغتان من دلالات وإفادات.

1- ينظر التفتزاني، المطول في شرح تلخيص المفتاح للقزويني، ص: 308.

2- ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 315.

3- المرجع نفسه، ص: 116.

كما استنبطوا منها: (أفعالاً متضمّنة في أقوال) منبثقة من الأفعال الكلاميّة الأصليّة(كالإذن والإباحة والكراهة).

وللأمر صيغ هي: صيغة فعل الأمر، مثل: صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿ **فَكُلي وَاشرَبي وَقَرّي عَينًا فَإِمّا تَرَينَّ مِنَ البَشَرِ أَحَدًا فَقولي إِنّي نَذَرتُ لِلرَّحمنِ صَومًا فَلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إِنسِيًّا** ﴿٢٦﴾ [1].

- الفعل المضارع المقترن بلام الأمر: كقوله تعالى: ﴿ **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ** ﴿٣﴾ [2].
- المصدر النّائب عن فعل الأمر: كقوله تعالى:﴿... **و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**... ﴾ [3].
- أسماء الأفعال والأصوات نحو:(صه) بمعنى (اسكت) أو(مه) بمعنى (اكفف).

أمّا النّهي فله حسب رأي "**السّكاكي**" وغيره « حرف واحد هو: لا النّاهية الدّاخلة على الفعل المضارع كمثل قولك: (لا تفعل)كما صرّحوا بأنّ النّهي فيها أصالة، ثمّ تحمل عليه مجازته، من الالتماس والدّعاء والتّهديد والإنشاء، ويعتقد البلاغيّون أنّ النّهي فيها هو(فعل كلامي أصلي) أمّا البقيّة فهي أفعال متضمّنة في القول منبثقة عن الأصل » [4].

الاستفهام: اختلف العلماء في اعتباره من (الإنشاء الطّلبي) أومن(الإنشاء غير الطّلبي)أي التّشبيه، وإنْ كان عند الأغلب من (الإنشاء الطّلبي)

وقد قسّم "**الفارابي**" سابقا القول الّذي يقتضى به شيء ما (أي يُطلب به شيء ما) إلى نوعين:

« يُقتضى به؛ إمّا قول ما.

---

1 – مريم: [26].

2 – قريش: [03].

3 – النساء: [36].

4 – مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 111.

وإمّا فعل شيء ما، والّذي يُقتضى به فعل شيء ما، فمنه نداء، ومنه تضرّع وطلبة وإذن ومنع ومنه حثّ وكفّ وأمر ونهي » [1].

والمعيار الّذي فرّق به "**الفارابي**" (الاستفهام) عن باقي الطّلبيّات هو« طبيعة أو(فحوي المطلوب) فإن كان المطلوب (قولاً) كان (استفهاماً) وإن كان المطلوب فعل شيء ما كان الطّلب (أمراً) أو غير ذلك، فالاستفهام هو ما سمّاه (ما يُقتضى به قول ما)، أمّا باقي أنواع الطّلب من (دعاء) و (نداء) و (تضرع) و (إذن) و (منع)...فسمّاه ما يقتضى به فعل شيء ما.

وجعل الاستفهام مكافئاً للنّداء في القوّة الإنجازية فكلّ منهما يقتضي جواباً قولياً على الأرجح، وأنواع الطّلب الأخرى تقتضي جوابا فعليّا »[2].

وقد قسّم البلاغيّون الاستفهام إلى قسمين: (طلب تصوّر) و(طلب تصديق)

والأوّل منهما هو طلب حصول الشّيء في العقل بسيطا؛ أي له طرف واحد.

والثّاني هو طلب حصول لنسبة بين الشّيئين، أي أنّ له الطرفان، ولكن نوع أداة تختصّ به وتؤدّي معناه.

أدوات الاستفهام :

الهمزة : ويطلب بها التّصوّر والتّصديق معاً

فمن دلالاتها على طلب التّصوّر (طلب تعيين المفرد) قولهم

- أَدبسٌ [*] في الإناء أم عسل؟.

ومن دلالاتها على طلب التّصديق (أي طلب تعيين النّسبة) مثاله, قوله تعالى:

---

1 – الفارابي، الحروف، ص: 162.

2 – مسعود صحراوي، التداولية عند العرب، ص: 112.

*** – عسل التمر.**

﴿ **وَيَستَنبِئونَكَ أَحَقٌّ هُوَ...**﴾ [1] ويكون الجواب (نعم) عند الإثبات و(لا)عند النّفي.

هل: وهي أداة استفهام يُطلب بها التّصديق فقط (أي طلب تعيين النّسبة بين شيئين)، وتختلف (هل) عن (الهمزة) في عدم صلاحيّتها للدّخول على الإثبات والنّفي.

النداء: رأى أغلبهم أنّ النّداء من (الإنشاء الطّلبي) ويقول "**الفارابي**" في ذلك: « إنّ النّداء يقتضي (أي يطلب) به من الّذي نودي الإقبال بسمعه وذهنه على الّذي ناداه منتظرا لما يخاطبه به بعد النّداء »[2].

التمنّي: هو كما يقول "**الشّريف الجرجاني**": « بأنّه طلب حصول الشّيء سواء كان ممكنا أو ممتنعاً »[3]؛ أي رغبة المتمنّي حصول مناه ولو كانت الغاية بعيدة المنال.

وَعَرّفه "**التفتازاني**" بأنّه: « طلب حصول الشّيء على سبيل المحبّة »[4]؛ وبالتّالي فإنّ جمهور العلماء يتّفق على أنّ أساليب (الإنشاء الطّلبي) الأصلي خمسة هي: الأمر، النّهي، النّداء، الاستفهام، التمنّي .

وقد تخرج هذه الصّيغ جميعها عن (مقتضى دلالاتها الظّاهرة) إلى أغراض أخرى بحسب ما يقتضيه المقام أي ما يعرف بـ (أفعال متضمّنة في القول) فالأمر مثلا: قد يخرج إلى: (الدّعاء) أو (الالتماس) أو (التّهديد)

الإنشاء غير الطّلبي: وهو الّذي لا طلب فيه، إذ يستلزم مطلوباً غير حاصل وقت الطّلب وهو أنواع: (التّرجّي) (القسم) (التعجّب) (المدح) (الذّم) إضافة إلى(صيغ المقاربة والرّجاء) و(ألفاظ العقود).

---

1 – يونس: [53]

2 – الفارابي، الحروف، ص: 162.

3 – الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية, بيروت، ص: 66.

4 – التفتازاني، المختصر في شروح التلخيص، ص: 228.

التّرجّي: ويعتبره "**محمد بن علي الجرجاني**": « إنشاء إمكان حدوث أمر ما »[1]، والفرق بينه وبين التمنّي هو « أنّ المتمنّي لا يطمع في حصوله وإمكانه، وكذا التمنّي يكون في الأمر المحبوب فقط والتّرجّي يكون في المحبوب والمكروه معاً »[2].

وبحسب معايير "**سيرل**" في شروط المحتوي القضوي:

« **فالتمنّي**: هو قضية غير ممكنة في نظر المتكلّم.

والتّرجّي: هو قضيّة ممكنة.

ومثال ذلك: قولك: ليتك تجيء غداَ، ولعلّك تجيء غداً.

ففي العبارة الأولى: المتكلّم يعتقد استحالة تحقّق المحتوى القضوي.

وفي الثّانية: المتكلّم يعتقد إمكان تحقّقه.

التّعجب والمدح والذّم: والتّعجّب على حدّ قولهم هو انفعال يحدث في النّفس عمّا خفي سببه وله صيغتان هما:

- ما أفعله! نحو: ما أجمل السّماء!.
- أفعل به! نحو: أجمل بالسّماء!.

فكلتا الجملتين تعبّران عن شعور انفعالي ينتاب المتكلّم واشترط "**المبرد**" في المتعجّب منه أن يكون معرفة أو نكرة مخصوصة فنقول منه: (ما أحسن زيداً ورجلاً معه)! ولولا قولك: معه: لم يكن للكلام معنى، وذلك أنّك إذا قلت: ما أحسن رجلا! بالتّنوين، فليس هذا ما يفيد به السّامع شيئا لأنّه لا يستنكر أن يكون في النّاس من هو هكذا »[3].

---

1 – محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح. عبد القادر حسين، دار النهضة، القاهرة، مصر، د ت، ص: 114.

2 – الدسوقي، شروح التلخيص، ص: 241.

3 – المبرد، المقتضب، تح. عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، د ت، ج. 4، ص: 186.

ويشير "**المبرد**" هنا إلى الإفادة وهي أهمّ ميزة في الإنشاء، كما أنّها مبدأ تداولي مهمّ.

أمّا (المدح) و(الذّم) فهما أسلوبان إنشائيّان يمثّلهما الملفوظان (نعم) مثل: (نعم الرّجل زيد)

و (بئس) مثل: (بئس الرّجل زيد)

وقد ناقش "**الإستربادي**" إنشائيّة (المدح) و(الذّم) وخبريهما فيقول: « إنّك إذا تلفّظت بجملة: نعم الرّجل زيداً فإنّما تنشئ المدح وتحدثه بهذا اللّفظ، وليس المدح موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة الثّلاثة، مقصود مطابقة هذا الكلام إيّاه حتى يكون خبراً »[1].

القسم والتّكثير: صنّف القسم ضمن (الإنشاء الطّلبي) مع اختلافهم في ذلك غير أنّ "**التفتازاني**" و"**القزويني**" عدّاه من الإنشاء الطّلبي فيقول "**القزويني**" والخلفيّة في تصنيف القسم ضمن هذا الضّرب، هي ملاحظة أنّ المتكلّم ينشئ يمينا للتّعبير عن صحّة ما يعتقده، وأدواته هي: الباء، الواو، التّاء، اللاّم ...» [2]؛ أي أنّ هذا الأسلوب يتضمّن وعداً باليمين على أداء أمر ما أو تركه.

أمّا التّكثير: « فهو أن ينشئ المتكلّم استكثارًا لعدد من شيء مستعملاً : رُبّ، أو كم الخبرية، للتّعبير عن الكمّ والتّكثير .

وهو إنشاء لأنّه في نفس المتكلّم وليس له وجود في الخارج حتىّ يحتمل الصّدق والكذب، ومثاله: (كم رجل عندي)، (رُبّ فقير عفيف).

لا يوجد ما يقابل (التّكثير) في ما جاء به " **أوستين** " و" **سيرل** " من أفعال كلامية، لكن « لما كان (المدح) إنشاء مقابل للإخبار بالجودة و(الذّم) إنشاء مقابل للإخبار بـ الرّداءة، يمكن اعتبار (التّكثير) إنشاء مقابل للإخبار بـ (الكثرة) »[3].

1 – رضي الدين الاستربادي، شرح الكافية، تح. رحاب عكاوي، دار الفكر، بيروت، 2000، ص: 211.

2 – عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: 162.

3– المرجع نفسه، ص: 163.

فيكون المدح والذّم متعلّقين « بالكيف والتّكثير متعلّق بالكمّ وبناء، على هذا القياس نستطيع اعتبار اعتقاد المتكلّم بكثرة الشّيء شرطاً تحضيرياً، أو شرط صراحة لتكثير الشّيء » [1].

ونأخذ "**السّكاكي**" كمثال نتطرّق فيه لنظرته إلى العملية التّواصليّة:

التفت "**السّكاكي**" إلى كلّ ما يحيط بالعمليّة التّواصليّة من سيّاق ومقام وخطاب وطرفيه (مُخَاطِبْ ومُخَاطَبْ)، ووصل إلى أنّ مقامات الكلام مختلفة وكذا أنماط الاستخدام اللّغوي وأشكاله تختلف وتتنوّع بحسب العلاقات الاتّصاليّة ومقتضيات هذا الاتّصال، من مقام المتكلّم إلى مقام السّامع ومقام الكلام وسيّاقات وروده، فخطاب الذّكي مثلا يغاير خطاب الغبيّ وخطاب المثقّف يغاير خطاب العامّي من النّاس حتّى يحقّق الخطاب أغراضه التّواصليّة والاقناعيّة، فللمقام بكلّ ما يحمله من عناصر دور كبير في ممارسة الخطاب الإقناعي وإنجازه انطلاقا من قصد المتكلّم وانتهاءً بإفادة السّامع معنى أو إقناعه والتّأثير عليه.

ولذلك يبدأ "**السّكاكي**" حديثه عن المقام بتأكيده فكرة (مقتضي الحال) يقول: « ولا يتّضح الكلام في جميع ذلك اتّضاحه إلاّ بالتّعرّض لمقتضى الحال»[2]؛ فهو يتّضح أكثر إذا ارتبط بالمقام الّذي قيل فيه.

- ويُصنّف المقام تصنيفا رباعيّا:

1- **مقامات الكلام بحسب مقاصد المتكلّم وأغراضه:** مثل التّشكّر والشّكاية والتّهنئة والتّعزية والمدح والذّم والتّرغيب والتّرهيب، وتظهر في قول "**السّكاكي**": « مقامات الكلام متفاوتة فمقام التّشكّر يباين مقام الشّكاية ومقام التّهنئة يباين مقام التّعزية، ومقام المدح يباين مقام الذّم، ومقام التّرغيب يباين التّرهيب، ومقام الجد يباين مقام الهزل »[3].

1 – طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، الكويت، د. ط، 1994، ص: 09 .

2 – السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 172.

3 – المرجع نفسه، ص: 172.

فالملاحظ أنّ الأغراض التي يساق لها الكلام تكون ضمن أفعال كلاميّة منها: أفعال كلاميّة إنجازية متضمّنة في القول نحو التّشكّر والشّكاية والتّعزية، ومنها أفعال تأثير بالقول نحو التّرغيب والتّرهيب.

والقصد في اللّسانيّات التّداولية أساس التّواصل والتّبليغ فلا تواصل دون قصدية إنّها:« المصطلح العامّ لجميع الأشكال المختلفة التي يمكن أن يتوجّه لها العقل أو يتعلّق نحو الأشياء أو الحالات الفعليّة في العالم »[1]، وتشمل كلّ ضروب الاعتقادات والرّغبات والحبّ والمدح والذّم والمخاوف والآمال.

2- **مقامات الكلام بحسب المخاطب (الإفادة)**: إذْ لا تتحقّق الإفادة من الخطاب ما لم يراع المخاطب مقام مخاطبه فخاطب الذّكي يغاير خطاب الغبيّ وخطاب خالي الذّهن يغاير خطاب الشّاك المتردّد ولذلك قال "**السّكاكي**": « مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناءا على الاستخبار أو الإنكار ومقام الكلام مع الذّكي يغاير مقام الكلام مع الغبيّ ولكلّ من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر »[2]، ولا يمكن للمخاطب أن يجني فائدة من خطاب المتكلّم ما لم يتمّ مراعاة حاله بما يشمله من مستوى عقلي وثقافي ومكانة اجتماعية ودرجة مقبوليّته لما يلقى إليه حيثُ يُفترض بتراكيب الكلام وما تحويه من أفعال إنجازيّة أن تكون مطابقة لمقتضى الحال حتّى نقول إنّ المخاطب أفاد مخاطبه معنى ما وضمن وصول قصده له.

إذن الإفادة عند "**السّكاكي** " قرينة تداوليّة مهمّة في تحقيق إنجازيّة الخطاب وضمان نجاعته التّواصليّة، وعلى أساسها يتحدّد موضوع علم المعاني، وهو ما فتئت تؤكّده حديثا اللّسانيّات التّداوليّة حيث يقول الباحثان " **دان سبربر DAN SPIRBER** " و"**ديردر drider WILSOn** "

1 – جون سيرل، الفعل واللغة والمجتمع، تر. سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط.1، 2006م ، ص: 128.

2 – السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 172.

إنّنا نعترف بأنّ كلّ الأحكام تنطوي تحت مسلّمة الإفادة التي هي أكثر دقّة وصحّة من الأحكام الأخرى.

3- **مقامات الكلام بحسب السّياق:** والمقصود به الجانب اللّغوي المرتبط ببنية الخطاب وشكله الّذي يضمّ وحدات لغويّة تنتظم فيما بينها (خواص تراكيب الكلام) بحسب مقتضيات التّواصل إذن « لكلّ كلمة مع صاحبتها مقام »[1].

فيختار النّاظم أو المتلفّظ بالخطاب من الخواصّ التّركيبيّة ما يتلاءم مع مقاصده ويستعملها في تراكيبه بحسب المقامات الخاصّة التي يكون فيها مع مخاطبه.

الّسياق الّذي يعالجه "**السّكاكي**" هو سيّاق نصّي تداولي لأنّ النّص يحوي بنى لغوية ذات حوافز ترتبط بمقامات إنجازها يحمل من خلالها النّص وظائف عديدة ويقوم السّياق التّداولي بتأويلها في شكل أفعال كلاميّة تعبّر عن المقاصد والأغراض التّواصليّة التي أنجزت للتّعبير عنها، نحو الشّك والشّكاية والتّهنئة والتّعزية والمدح والذّم والتّرغيب والتّرهيب[2].

4- **مقامات الكلام بحسب الموقف:** و يُقصد به الموقف الّذي تتحدّد فيه عمليّة الكلام حيث لا يُحسن أن توجز في مقام التّفصيل ولا أن تُطيل في مقام الإيجاز فلكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، ولكلّ موقف نظم مناسب له وتركيب بلاغي يقتضيه، وهو ما فصّله "**السّكاكي**" في معالجته لمبحث الإيجاز والإطناب والمساواة.

ويشمل سيّاق الموقف جميع ما يتّصل بأحوال المخاطبين وحياتهم اجتماعياً وثقافيا.

1 – السكاكي، مفتاح العلوم، ص: 75

2 – ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط.1، 2004م، ص: 204.

إذن يتّضح أنّ كلّ ما عني به العرب في اهتمامهم بالسّياق بنوعيه المقالي والمقامي في كشف مقاصد الخطاب وتحقيق الإفادة لدى السّامع، والقصد والإفادة في اللّسانيّات التّداوليّة قرينتان لهما شأنهما في ضبط المعنى وتحقيق النّجاعة التّواصليّة.

الدّلالة عند الأصوليّين:

ليس هناك من شكّ في أنّ تراث كلّ أمّة هو الواجهة الحضاريّة التي تعكس مقدار مساهمتها في مسيرة المعرفة الإنسانيّة، ولهذا كان القائمون على الثقافة في كلّ بلد معنيّين بحفظ التّراث انطلاقاً من الواجب اتّجاه من قدّموا مختلف العلوم، عرفناً ببذلهم العلّمي واستئنافاً بخطّتهم في التّأسيس والبناء لصروح التّنوير والتّجديد وعلى قدر تنوّع هذا التّراث العلمي في أمّة من الأمم واتّساعه ليشمل مناحي برمّتها، يكون ذلك مؤشّراً على إحاطة الحركة العلميّة بما تقتضيه متطلّبات التّنميّة والتّقدّم في سيّاقها التّاريخي.

- **السّياق عند الأصوليّين:**

سار الأصوليّون على نهج علماء العربيّة في الكشف عن المعاني من خلال السّياق فقد تناولوا المعاني المفهومة من التّراكيب، حيث تختلف دلالتها من أسلوب لآخر، والسّياق هو الّذي يحدّد ذلك

وللمتكلّم حقّ استعمال الألفاظ في معناها الحقيقي أو المجازي صريحة أو كنائية على وفق أساليب معروفة، فضلاً عن وجود ألفاظ واضحة الدّلالة ومنها حقيقيّة الدّلالة، ولكلّ منها درجات، فإذا وُضع اللّفظ العامّ للاستغراق وصيغة (أفعل) الأمريّة للوجوب أو الإباحة فإنّ المتكلّم استعمل الأوّل في العموم مرّة وفي الخصوص أخرى، واستعمل الثّاني في معان متعدّدة منها: الإرشاد، التّهديد، الإكرام[1]، ويشمل ذلك كلمات وأساليب أخرى، إذْ « المجمل والمجاز والمنقول عن وضعه، والمنقول بتصرّف الشّرع، والعامّ المحتمل للخصوص، والظّاهر المحتمل للتّأويل، ونسخ الحكم بعد استقراره،

1 – ينظر: السبكي، جمع الجوامع ، ج. 1، ص : 372.

ومعنى قول (أفعل) أنّه للنّدب أو الوجوب، أو أنّه على الفور أو التّراخي، أو أنّه للتّكرار أو المرّة الواحدة، والجمل المعطوفة إذا أعقبت باستثناء، وما يجري مجراه ممّا يتعارض فيه الاحتمال»[1].

وبهذا يظهر أنّه قد سببّت حرّية الوضع والاستعمال كثرة الاحتمال في النّصوص والعبارات، ممّا يدعو لبحث كيفيّة فهم الخطاب، وتحديد المعنى في ضوء هذا الإشكال، وهذا ما بحثه الأصوليّون وغيرهم في العناصر السّياقيّة والمقاميّة التي لها أكبر الأثر في الكشف عن المعنى، ذلك أنّ هدف الأصوليّين: « معرفة كيفية اقتباس الأحكام من الأدلّة »[2].

والملاحظ أنّ عناية الأصوليّين بمبحث السّياق كانت كبيرة، إذ نجدهم يستندون إليه في تحديد الكثير من دلالات الألفاظ، لا سيّما في النّص القرآني، فالسّياق يُزيل الإبهام عن المجمل، ويوضّح تخصيص العامّ، وتقييد المطلق، وهو الّذي يحدّد الدّلالة المقصودة عند تنوّع دلالات الألفاظ، وهو من أعظم القرائن الدّالّة على مراد المتكلّم، يقول "**ابن دقيق العيد المصري**": « أمّا السّياق والقرائن فإنّها الدّالّة على مراد المتكلّم من كلامه »[3].

إنّ معنى الكلمة يتمّ تعديله وفقاً لتعدّد السّيّاقات التي تقع فيها، فتكون الكلمة فصيحة بملاءمتها لجارتها، وتعلقّها بأقرانها، وارتباطها بهم عضويّا في نظم بديع لا ترضى به بديلا، وهذا التّعلّق والارتباط يُسهم في إيضاح المعنى، ذلك لأنّ :« السّياق هو الّذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرّغم من المعاني المتعدّدة التي في وسعها أن تدلّ عليها، والسّياق هو الّذي يخلق لها قيمة حضوريّة » [4]؛ أي أنّ السّياق هو الّذي يُوجّه العبارة إلى المعنى المراد منها.

1 – الغزالي (أبو حامد)، المستصفي من علم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق، ج. 2، ص: 15.
2 – المرجع نفسه، ص: 16.
3 – ابن دقيق العيد المصري، أحكام الأحكام، ج. 2، ص: 225.
4 – فندريس، اللغة، ص: 231.

ومن موضوعات البحث الأصولي أيضا البحث في الدّلالة المفردة والتّركيبيّة للكلمات، ذلك لأنّ لوضع الكلمة دلالة هي الأصليّة والأساسيّة، ما عدا دلالة صوتها وصيغتها، وكذلك لها دلالة أخرى ثانويّة، هي الدّلالة الاجتماعيّة أو السّياقية المتأتّية من الاستعمال المتداول[1].

وقد تناولوا أيضاً وبشكل واضح السّياق اللّفظي والاجتماعي، وَفَصّلوا القول في عناصره، وأثر ذلك في تحديد المعنى، وفاقوا بدراستهم له البلاغيّين، وتميّزوا في أمور كثيرة بالنّسبة لمسألة السّياق، وإن اشترك كلاهما في دراسة النّصوص الشّرعيّة.

ولقد كان عند الأصوليّين « في بدء بحثهم لملمح اللّغة السّياق أنّ اللّغة ظاهرة اجتماعيّة، وأنّها نشأت لحاجة الإنسان لتؤدّي دورا في التّفاهم، وهذا ما عبّروا عنه بمصطلح (سبب الوضع)، وقرّروا أنّ اللّغة هي أرقى نظام من العلامات التّعبيريّة، وأنّ الصّلة بين اللّفظ والمعنى اعتباطيّة عرفيّة»[2].

وهناك نصوص صريحة تدلّ على إدراكهم للسّياق بأنواعه، ودوره في الكشف عن المعنى بشكل دقيق، وإدراكهم لعناصره اللّغوية والاجتماعيّة، فيتحدّث "**الغزالي**" عن الوسائل المعينة على فهم الخطاب الشّرعي من أنّ: « طريق فهم المراد تقدم المعرفة بوضع اللّغة التي بها المخاطبة، ثم إن كان نصّاً لا يحتمل معرفة كافيّة للّغة، وإن تطرّق إليه فهم الاحتمال فلا يُعرف المراد منه حقيقة إلاّ بانضمام قرينة إلى اللّفظ، والقرينة إمّا لفظ مكشوف كقوله تعالى: ﴿ ...**وَآتوا حَقَّهُ يَومَ حَصادِهِ**...﴾[3]، والحَقّ العُشْر ، وإمّا إحالة على دليل العقل، كقوله تعالى: ﴿ ...**وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ**... ﴾[4]، وإمّا قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق لا تدخل تحت الحصر والتّخمين، يختصّ بإدراك المشاهد لها، فينقلها المشاهدون من الصّحابة إلى التّابعين

1 – ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص: 48.

2 – ينظر: السيوطي، المزهر، تح. فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1998، ج.1، ص: 38.

3 – الأنعام: [141].

4 –الزمر: [67].

بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس أو من جنس آخر، حتّى توجّب علماً ضروريا يُفهم المراد، فكلّ ما ليس له عبارة موصوفة فتتعيّن فيه القرائن »[1].

أمّا عند مُنكِري صيغتي « العموم والأمر فيتعيّن تعريف الأمر والاستغراق بالقرائن لأنّه قد يكون للأمر عادة مع المأمور، فالوجوب والنُّدب إنمّا يُفهم بالقرائن »[2].

وبهذا يتّضح أنّ السّياق يشمل القرائن اللّغوية وغير اللّغوية كافّة، للإسهام في عمليّة الفهم، وقد توخّى الأصوليّون توجيه الدّلالة الثّانية للألفاظ، والتي حدّدها **عبد القاهر الجرجاني** بدلالة النّظم، فأرادوا توجيهها بما يتّفق وقصد الشّارع[3]؛ أي أنّهم بحثوا في المعنى الخفيّ الّذي تحتمله هذه القرائن في تفسير النّص القرآني.

- **قصديّة الخطاب عند الأصوليّين:**

« نظراً لأنّ علاقة اللّفظ بالمعنى عرفيّة اعتباطيّة، وأنّ الدّلالة الحقيقيّة تابعة لقصد المتكلّم، فإنّه يرتبط ببحث السّياق مسألة مهمّة جدّاً، هي قصديّة المتكلّم المرتبطة هي الأخرى بعلاقة اللّفظ بالمعنى لأنّ دلالة الألفاظ ليست لذواتها، بل هي تابعة لقصد المتكلّم وإرادته »[4]؛ أي أنّ المعاني مرتبطة بنفسيّة المتكلّم وما يبتغيه من الخطاب المنجز.

والقصد في التّعبير يدعو إلى اعتبار ثلاثة أشياء: هويّة المتكلّم، من يتكلّم إليهم، والنّص نفسه هو الّذي تفتعل فيه تجارب المنشئ من نصوص إنشائيّة تختلج في نفسه[5] ومن ذلك استدلالهم على فساد البيع وقت النّداء لصلاة الجمعة في قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن**

1 – الغزالي، المستصفى، ص: 298.
2 – المرجع نفسه، ص: 299 .
3 – ينظر: أحمد عبد الغفار، التصوّر اللّغوي عند الأصوليين، ص: 112.
4 – الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر، بيروت، ج.1، ص: 18.
5 – ينظر: علي حاتم، البحث الدلالي عند المعتزلة، ص: 30.

يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [1] مع أنّ المقصود:« إيجاب السّعي، لا بيان فساد البيع»[2].

وهذه دلالة بالمعنى التّبعي المأخوذ من المعنى التّركيبي، مع مراعاة قصد الشّارع فالمعرفة قصد الخطاب تأثير كبير في توجيه الدّلالة وتحديدها، على الرّغم من اختلاف صورة اللّفظ.

كما اهتمّوا بتطوّر دلالة الألفاظ وعلاقاتها وما يظلّلها من المفاهيم المتواردة عليها بعرف الاستعمال وبإرادة الشّارع وقصده، وممّا يدلّ على عنايتهم بالمضمون، لأنّ مهمّتهم استنباط الأحكام بفهم معانيها من أغراض الشّريعة ومقاصدها من ثلاثة أمور: القول، معناه، علّة الحكم، فمثل قوله تعالى: ﴿... **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**...﴾ [3] للأمر في ظاهره، إلاّ أنّه يقصد به المبالغة في التّهديد والخزي وهي الدّلالة الثّانية، أو المعنى التّبعي، كما يقول الأصوليّون .

وبهذا فقد أرشد المنهج الأصولي إلى أنّ الدّلالة ينبغي أن تكون تابعة لإرادة المتكلّم وقصده، لا إلى ما تدلّ عليه الألفاظ في ظاهرها، ممّا جعل البحث والاستدلال العلمي عند الأصوليّين منصبّاً على الدّلالة التّصديقيّة، لا الدّلالة التّصوّرية، حيث كان همّهم البحث عن مراد الشّارع في نصوص التّشريع، إذْ قسموا الدّلالة إلى قسمين: حقيقيّة معبّرة عمّا يقصده المتكلّم، وإضافيّة مطلقة؛ هي ما يفهمه السّامع، قصده المتكلّم أو لم يقصده، كما لو ذهب فهم المتلقّي إلى المعنى الحقيقي من لفظ قد استعمله المتكلّم قاصدا معناه المجازي، أو حَمَلَهُ على المجاز فوافق قصد المتكلّم، مستدلاً عليه بما شاء من قرائن مناسبة ، متوصّلاً إلى الدّلالة الحقيقيّة (مقصود المتكلّم) [4].

---

1 – الجمعة: [09].

2 – أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة ،تح. عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج.3، ص: 69.

3 – فصلت: [40].

4 – ينظر: وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي، ج.1، ص: 20.

- **المعنى المفرد والمعني التّركيبي:**

اللّغة في تصوّر الأصوليّين ألفاظ دالّة على معان، فتؤخذ منها المعاني، إمّا معان مطلقة عن القيد؛ وهي تلك الألفاظ والعبارات المطلقة التي تُشكّل الدّلالة الأصليّة فقط، أو أن يُعْرفَ المعنى عن طريق الألفاظ والعبارات المقيدة، ممّا يُشكّل الدّلالة التّابعة والمعنى التّبعي المفهوم من التراكيب، وهذا ما اقتفى فيه الأصوليّون أثر علماء العربيّة في أساليبهم واستعمالاتهم، « فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمّر فلا يصحّ العدول عنه في فهم الشّريعة، وإن لم يكن ثمّة عرف فلا يصحّ أن يجري فهمها على مالا تعرفه »[1].

ويمثّل **الشّاطبي** لذلك بمثال: أنّ رجلا سأل عمراً – رضي الله عنه – عن قوله تعالى: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴿٣١﴾ [2], ما الأبُّ ؟ فقال عمر: نُهينا عن التّعمق والتّكلّف، وأنّ عمر أدّب أحدهم؛ لأنّه كان يُكثر من السّؤال عن (المرسلات) و(العاصفات) ونحوها [3] لكنّ **الشاطبي** يقرّر أنّ النّهي هنا لم يكن ينبني على فهم هذه الأشياء فهو حكم تكليفي، وكان المعنى التّركيبي معلوماً على الجملة، أمّا لو توقّف فهو المعنى التّركيبي على فهم المعنى الإفرادي فإنّ ذلك لا يُعدّ تكلّفا، بل ينبغي اللّجوء إليه لضرورة فهم الكلام جملة [4].

- **أقسام السّياق:**

معلوم أنّ القرائن المساعدة في فهم المعنى منها لفظيّة، ومنها مقاميّة، وعليه ينقسم السّياق إلى قسمين رئيسيّين هما: اللّفظي (النّصي) والمقامي (الحالي أو السّياقي)، وتقع ضمنهما الأنواع الأخرى، منها: السّياق العاطفي، السّياق الثّقافي، السّياق السببي[5].

---

1 – الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ص: 82.

2 –عبس: [31].

3 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 82.

4 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 82.

5 – ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1988، ص: 69.

- ويمكننا تفصيل القول في أنواع السّياق السّابقة كما يأتي:

1- **السّياق اللّغوي**: ويُقصد به « النّظم وهو اللّفظ للكلمة، وموقعها منه ويشمل الكلمات والجمل الحقيقيّة السّابقة واللاّحقة للكلمة، والنّص الّذي توجد فيه فهو الّسياق الذي توجد فيه اللفظة في الجملة، فتكتسب من السّياق توجيها دلاليّا، وقد تأتي في سياق آخر فتكتسب دلالة أخرى »[1] بمعنى أنّ الكلمة تأخذ معناها الحقيقي حسب السّياق الّذي استعملت فيه وباختلاف السيّاقات تختلف الدّلالات.

وقد صرّح **ابن حزم الظاهري** بأنّ: « الحديث والقرآن كلّه لفظة واحدة، فلا يحكم بآية دون أخرى، ولا بحديث دون آخر، بل يضمّ كلّ ذلك بعضه إلى بعض، إذْ ليس بعض ذلك أولى بالإتّباع من بعض، ومن فعل غير هذا فقد حكم بلا دليل »[2]؛ أي أنّ المرجع الحقيقي للأحكام هو القرآن الكريم والحديث وإلا تسقط الأحكام التي لا تستند إلى أحدهما .

ومن مراعاة الأصوليّين للسّياق اللّفظي العامّ للقرآن والسّنة دراستهم للمطلق وتقييده، وللمجمل والمبيّن، وبالرّجوع لرأي الإمام **الغزالي** في مفهوم السيّاق يرشدنا إلى « أنّه من الخطاب ما يكون معرفة وضع اللّغة كافيًا في تحديد معناه المراد، وذلك حين ينعدم الاحتمال، ويكون الخطاب عبارة عن نص لا يحتمل التأويل أصلا، لا على قرب ولا على بعد، كالخمسة _ مثلا _ فإنه نص في معناه لا يحتمل الستّة ولا الأربعة »[3].

2- **السّياق المقامي**: ويُسمّى بسيّاق الموقف أو السّياق الخارج عن النّص وهو السيّاق الخارجي للّغة، الّذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، ويشمل كل ما يحيط باللّفظة من عناصر غير لغوية تتّصل بالعصر أو نوع القول أو جنسه أو المتكلّم أو المخاطب أو الإيماءات أو أيّة إشارة عضويّة أثناء النّطق تعطي للّفظة دلالتها، ففي بعض الأحيان لا يمكن العثور على الدّليل الّذي يرشدنا إلى المعنى

1 - أحمد الجنابي، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب (العين)، ص: 162.
2 - ابن حزم، الإحكام، ج.3، ص: 118.
3 - الغزالي، المستصفي، ج.1، ص: 157.

الصّحيح لمصطلح لغوي داخل الجملة نفسها، بل نستمدّ ذلك من مجمل المحادثة [1]؛ بمعنى لا يمكن الحكم على المعنى من جملة واحدة بل لابدّ من استحضار النّص حتّى نحصل على الدّلالة الصّحيحة.

- **علاقة المتكلّم بالمعنى**: قرّر الأصوليّون أنّ المعرفة بالله تعالى: بصفاته في القرآن والسّنة، وبإعجاز النّظم القرآني، وبالكون ونظامه البديع، ضروريّة لمعرفة المراد من خطابه – سبحانه – لأنّها تنعكس على المجتهد المتفهّم للخطاب، فيدرك من كونه: ﴿ ...**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**...﴾ [2]، ومن أنّه لطيف خبير بصير عليم حكيم، وبأثر أفعاله في الكون، يُدرك مقتضى ذلك: امتناع الفساد في إرادته والعناية بما هو متيقّن المصلحة، ويُستدلّ على إرادة أو عدم إرادة النّظير بإرادة أو عدم إرادة نظيره، كما استدلّ الصّحابة على إباحة الأفعال بإقرار الشّارع لها، « وهذا استدلال على المراد بغير لفظ، بل ربّما عرف من موجبه أسماؤه وصفاته، وأنّه لا يقرّ على باطل حتّى يبيّنه »[3].

ويبلغ الأصوليّون بهذا ذروة الاعتماد المثمر على المعرفة بهويّة المتكلّم؛ بغية فهم مراده، وهذا يحقّق قانون القصد اللّغوي، حيث يتوجّه الاهتمام بالخصائص الأسلوبيّة، الأمر الّذي تُعنى به التّداوليّة في الدّرس اللّغوي الحديث أيّما اعتناء، فإذا « ماأخذنا في اعتبارنا هويّة المتكلّم ومقصده والوظيفة التي هو عليها، نرى بأنّ المعنى يتعدّل و يتدقّق ويغتني »[4]؛ وبالتّالي اعتبروا أنّ المعنى لا يصل إلى دلالته الحقيقيّة إلا بتوفّر جملة من المقتضيات يستلزمها الخطاب ونأخذ تداوليّات **الشّاطبي** كمثال على ذلك إذ يعتبر "**الشاطبي**" أحد أبرز الأصوليّين المجتهدين في القرن الثّامن الهجري، حيث يرى أنّ هناك أدوات معيّنة لتوقّي الشّرود في البحث عن الدّلالة والمعنى، ومن جملة ما نصّ عليه وذكره أن علم المعاني والبيان الّذي يعرف به إعجاز نظم القرآن، فضلاً عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنّما مداره على مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطِبْ أو المخاطَب أو

---

1 – ينظر: كمال بشر، دراسات في علم اللغة ، ص : 165.

2 –الشورى: [11]

3 – ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، 1973، ج.1، ص: 219.

4 – ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ص: 220.

الجميع، إذْ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطبين وبحسب غير ذلك[1]؛ أي أنّه لابدّ من وضع الخطاب في حاله ومقامه ومراعاة الظّروف المحيطة به حتىّ يصل المخاطب إلي المعنى الحقيقي الّذي يقصده المخاطب.

وبما أنّ **الشّاطبي** (مؤسّس علم المقاصد) وهو علم يبحث في التّداوليّات الشّرعيّة خاصّة، كان واعياً بقيمة المعطيات التّداوليّة التي من جملتها أسباب النّزول في بناء تأويل مناسب وليس بعيداً عن قصد المتكلّم بالكلام، ودليل ذلك ما ذهب إليه حين تحدّث عن القوّة الإنجازيّة التي يخرج إليها الاستفهام على سبيل المثال فلفظه كما هو معروف واحد، وتدخله معان أخرى من تقرير وتوبيخ وغير ذلك، ومثله مثل الأمر يدخله معنى الإباحة والتّهديد والتّعجيز وأشباهها من المعاني التي تقتضيها السّياقات ولا يدلّ على معناها إلاّ الأمور الخارجيّة وعمدتها مقتضيات الأحوال أي المقتضيات السّياقية [2].

ويرى **الشاطبي** أنّ الأساليب على اختلافها لا تحمل فقط المعنى المباشر الظّاهر وإنّما تتضمّن معان أخرى تفهم من السّياقات التي قيلت فيها والظّروف الخارجيّة المؤثّرة فيها .

وإذا تأمّلنا الأمور الخارجة ومقتضيات الأحوال وجدناها تمثّل وجوداً موازياً أو سابقاً لإطار الكلام المنجز أو الملفوظ أو النّص الآخر، أو نص مصاحب للنّص الظّاهر، وهي بمثابة الجسر الّذي يربط التّمثيل اللّغوي بيئته الخارجيّة [3].

يقول **الشاطبي** منبّهاً أنّ المسافات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنّوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالّذي يكون على بال من المستمع هو الالتفات إلى أوّل الكلام وآخره، بحسب القضيّة وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أوّلها دون آخرها، ولا في آخرها دون أوّلها، فإنّ

1 – ينظر:أبو إسحاق الشاطبي، الموفقات، ص: 347.

2 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 348.

3 – ينظر: يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار اللغة للنشر، مكة المكرمة، ط.1، ص: 29.

القضيّة وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلّق ببعض، لأنّها قضيّة واحدة نازلة في شيء واحد، فلا مجال للمتفهّم إلى ردّ آخر الكلام على أوّله، وعلى ذلك يحصل مقصود الشّارع في فهم المكلّف[1].

ويفصل **الشّاطبي** في كيفيّة وصول الخطاب بين المتخاطبين إذْ يؤكّد على بدايات الخطاب ونهايته ويرى أنّ هناك ربط مباشر إذْ لا تفهم البداية بدون نهاية ولا نهاية مفهومة بدون إدراك البداية.

لقد أولت تداوليّات **الشّاطبي** عنايتها بأوجه التّسييق النّصي يردّ النّصوص بعضها إلى بعض واعتبار القرآن كلّه نصّاً واحداً ، فإنّها في المقابل أيضاً اهتمّت بوجه آخر من أوجه السّياقيّة ألا وهو إلحاحها على المعاني التّركيبيّة لا الافراديّة، وذلك لأنّ الاعتناء بالمعاني المبثوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناءً على أنّ العرب إنّما كانت عنايتها بالمعاني، وإنّما أُصْلِحَتْ الألفاظ من أجلها، وهذا الأصل معلوم عند أهل العربيّة، فاللّفظ إنّما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى المقصود .

ولهذا نرى أنّ **الشّاطبي** أكّد على أنّ العرب لا تعبأ بالمعنى الإفرادي إذا كان المعنى التّركيبي مفهوما دونه ، بل يجدون الاشتغال بالمعاني الإفراديّة من باب التكلّف المنهي عنه [2].

إنّ الكلمة الواحدة والجملة قد تحمل مدلولين متناقضين تماما دون أنّ تختلف الكلمة في بنائها الدّاخلي، وإنّما الّذي تغيّر هو السّياق والقرائن المحيطة، فقد يقول الأب لابنه: افعل الأمر الفلاني، وهو يقصد المعنى الظّاهري لهذه الكلمة، وقد يستخدم نفس الكلمة ويقصد بها التّهديد الّذي يستطيع اكتشافه من خلال القرائن شبه اللّسانية، وهنا ينقلب المعنى افعل إلى معنى مناقض تماماً هو: لا تفعل، وهذا كلّه ينطبق بالضّبط على القرآن الكريم فقد يستخدم القرآن صيغة الأمر ويقصد بها مدلولها الظّاهر عندما يقول: ﴿ **أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلوكِ الشَّمسِ إِلى غَسَقِ اللَّيلِ**... ﴾ [3] وقد يقصد بها الإباحة عندما يقول: ﴿... **وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا**... ﴾ [4] ويعقبها الحظر في قوله: ﴿...**لَا**

1 – ينظر: أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ص: 413.
2 – ينظر: المرجع نفسه، ص: 87 .
3 – الإسراء: [78].
4 – المائدة: [02].

تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ... ﴾ [1]، وقد يقصد التّهديد عندما يقول: ﴿ **فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ ...** ﴾ [2]، وقد يقصد التّعجيز والتّحدّي في قوله: ﴿ **مِن دونِهِ فَكيدوني جَميعًا ثُمَّ لا تُنظِرونِ** ﴿٥٥﴾ [3].

« لقد استخدمت هذه الآيات جميعاً في صيغة الأمر، إذ فما الّذي جعلها تعطي مدلولات مختلفة بل مناقضة للدّلالة الحرفيّة أيضاً ؟

إنّه السيّاق القرآني والقرائن الخارجيّة »[4].

وخلاصة هذا الكلام أنّ من لم يلحظ سيّاقيّة النص الحكيم وخروجها على مقتضى الظّاهر في كثير من موارد القرآن الكريم لم يأمن الغلط، بل كثيرا ما تجده منصرفاً مع الوجه الظّاهر تاركاً لما يقتضيه السّياق نافراً بفعله من المعنى المقصود محرفاً الكلام عن مواضعه .

إنّ الملمح الملاحظ من تناول أهل العلوم لأنواع السّياق، وما يمتاز به كل، من حيث الوظيفة النّوعية، والغاية المرداة من هذا التّوظيف هو اتّفاق البلاغيّين والأصوليّين على تعريف السّياق، وبيان أنواعه وأهمّيته في تحليل النّصوص والقرائن المساعدة على ذلك، غير أن بحث الأصوليّين كان أكثر دقّة وتفصيلاً في هذا الإطار.

---

1 – المائدة: [95].

2 – الزمر: [15].

3 – هود: [55].

4 – بيار جيرو، السيمياء، تر، أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط.1، 1984م، ص: 39.

التعريف بسورة البقرة:

سورة البقرة من السور المدنية يبلغ عدد آياتها 286 آية، وتأخذ المرتبة الثانية بحسب الرسم القرآني، وتحتل الصدارة في السور الطوال، تتناول السورة قضايا كثيرة حيث نجد فيها ذكر لصفات المتقين المؤمنين، ثم انتقلت إلى الحديث عن الجاحدين المعاندين، فقد قسمتهم إلى الذين لا يؤمنون، سواء أنذرتهم أم لم تنذرهم، ثم المنافقين الذين يخادعون الله و رسوله، فهم كالصمّ البكم العميّ، ثم أهل الكتاب وخاصة بني إسرائيل وفصلت الآيات مواقف جحودهم [1].

ثم تحولت: إلى ذكر مواقف المسلمين، وأوّلهم إبراهيم عليه السلام الذي أسلم لرب العالمين ثم ذكرت الآيات وصية يعقوب عليه السلام لأولاده، ثم انتقلت إلى التفصيل في الأحكام الشرعية التكليفية مثل: استقبال القبلة، الحج، العمرة، القصاص، الحياة، تشريع الصيام، الجهاد، أحكام الخمر والميسر، البيع والربا، وتشريع الطلاق، أحكام الأسرة، كما حذرت من إتباع الشيطان، ثم فيها إجابة عن أسئلة الصحابة حول القتال في الأشهر الحرم، الإنفاق، الأهلة، المحيض، ثم أبرزت مبادئ الاقتصاد الإسلامي، أحكام المعاملات الإسلامية ،ثم ذكرت قصصا عن أخبار الأمم السابقة مثل: ذبح البقرة، مناظرة إبراهيم للطاغوت، قصة طالوت و جالوت، و قصة نبي الله عزير [2].

أما ختام السورة: فبيّن طبيعة التصور الإيماني، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، ثم الدعاء بالمغفرة والعفو والرحمة والنصرة على الكافرين[3].

وتعتبر هذه الصورة ككل فعلا إنجازيا شاملا هو الدعوة إلى الإسلام لله تعالى.

1- الأفعال الكلامية الإخبارية (التقريرية): ويمكن من خلالها التعرف على الوظائف التداولية للفعل الكلامي التقريري الذي يخبر عن مواقف وأحداث تاريخية، ويروي أخبار الأمم السابقة، ويقص علينا قصص الأولين، وأخبار الأنبياء والمرسلين وقد اتخذ الخطاب القرآني من الخبر وسيلة لنقل

1- ينظر: عبد الحميد طهماز، الإسلام لله تعالى فبي سورة البقرة، دار القلم، دمشق، ط. 1، 1998، ص: 21.
2- ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط. 11، 1985، ج1، ص: 33-34.
3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 35.

الأخبار، وصف الحوادث، تقرير الحقائق، تبليغ الدعوة، وغرض هذا الصنف هو نقل المتكلم واقعة من الوقائع.

إذن فالإخباريات هي طريقة توضيحية تحدد طبيعة نوع الفعل الإنجازي التقريري: « والتقرير لغة: يؤدّى في أسلوب خبري بسيط، ومن الممكن أن يؤدّى في أسلوب إنشائي أيضا، واستعمال التقرير في صيغ التوكيد تفرضه سياقات تواصلية معينة »[1].

كما يوجد للإخباريات نوعان من القوى الإخبارية هي:

1- القوة الإنجازية المباشرة: الوصف، الإخبار، التقرير.

2- القوة الإنجازية غير المباشرة (المقامية): المدح، الذم، التعظيم، الثناء، التفزيع، الوعد، الدعاء، التمني، الأمر، النهي، التحليل، التحريم، الحث، الترغيب، التكذيب، التسلية، التبكيت.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن سنن الخطاب من: إخبار، شمول، صدق، إفادة.

فقانون الإخبار: هو الشرط الأساس الذي تخضع له كل أنواع التلفظ، حيث يهدف المتكلم من خلالها إلى إخبار المخاطب عن أمر لا يعرفه، أمّا الشمول هو إعطاء المعلومات الهامة حول الموضوع من طرف المتكلم مع التصريح بكافة المعلومات، أمّا الصدق فهو قول المتكلم الحقيقة كاملة، أمّا بالنسبة للإفادة هو أن يحمل خطاب المتكلم إفادة للمخاطب[2].

أمّا اللّغة الإبداعية فقد تخرج عن أصلها فيكون فيها خالي الذهن بمنزلة المنكر، والمنكر بمنزلة المتحير، والعكس، وهذا الانزياح يخضع لسياق الجملة، أمّا إذا كانت الأفعال متعلقة بالخبر من الله فإنّها صادقة إطلاقا، وفي هذا نجد قول "**الشاطبي**": «قد تبيّن في أصول الدين امتناع التخلف في خبر الله تعالى، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم »[3]. و بالتالي الإذعان للخبر إذا كان من الله.

1- محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب، الأردن، ط. 1، 2012، ص: 144.

2- ينظر: هاشم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص: 08 .

3- أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات، ص: 163.

إذن فلابدّ أن يكون للخبر فائدة وهذا ما سمّاه البلاغيون فائدة الخبر وتثبيته هو لازم الفائدة، وتختلف شدة القوة الإنجازية لفعل الإخبار بحسب توفر عناصر لغوية وتداولية تؤدي دورها في تعديل القوة الإنجازية ومنها: المؤكدات، مراعاة حال المخاطب، وقد يعدل الخبر عن معناه الأصلي، إلى معان تفهم من سياقاتها المستعملة بها، وقد نقل **"الزركشي"** عن أبي عبيدة قوله: « أنّ القصص ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين، وباطنها موعظة للآخرين »[1].

ومن هذه القصص الواردة في سورة البقرة الإخبار عن القرآن والإنسان: ونورد فيما يلي طريقة ورود الأفعال الكلامية مع بيان أغراضها الإنجازية انطلاقا من سياقاتها:

قال تعالى: ﴿ **الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾** ﴾[2].

لقد جاءت هذه الآية في سياق مخاطبة الله تعالى للعرب الذين تحداهم بالقرآن فعجزوا ولو أنّهم تدبروا القرآن لآمنو به.

أما المقام الذي جاء فيه الخطاب هو مقام للتحدي و التعظيم و لذلك استعمل السياق القرآني الوسائل اللغوية والحجاجية المناسبة وكذلك الأفعال الكلامية الملائمة لذلك المقام ففي هذه الآيات تنزيه وعلو منزلة القرآن فوق كل منزلة: « فذلك الكتاب الكامل الجامع لصفات الكمال »[3].

جاءت هذه الآيات بصيغة خبرية تحملها أفعال مباشرة تتضمن قوى إنجازية مستلزمة مقاميا.

إذ أنّ قوله تعالى: (ذلك الكتاب)، جملة دلّت صيغتها الخبرية على فعل كلامي مباشر هو التقرير و فعل كلامي متضمن في القول هو التعظيم[4].

1- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957، ص: 169.

2 - البقرة : [1 ، 2]

3- الألوسي، روح المعاني، تح. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1، ص: 162.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 162.

وقوله: (لا ريب فيه)، تدل صيغتها الخبرية على فعل كلامي مباشر هو النفي: « المراد منه نفي كونه مظنّة للريب، بوجه من الوجوه، والمقصود أنّه لا شبهة في صحته، وأنّه بلغ من الوضوح، إلى حيث لا ينبغي لمرتاب أن يرتاب فيه »[1].

وتتضمن الجملة قوة إنجازية غير مباشرة هي: الإثبات والتبيين، فالإثبات تعبير عن صدقه والتبيين خاص بوضوح حقيقة القرآن.

وصف المتقين:

قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾**﴾[2].

السياق: في سياق هذه الآيات تصنيف للناس، بحسب قبولهم للقرآن إلى أربعة أصناف: المؤمنون، الكافرون، المنافقون، أهل الكتاب [3].

أمّا مقامهما فهو مقام مدح وثناء على المؤمنين من جهة وفي المقابل الذم للكافرين والمؤمنين غير المتقين فبنية الفعل الكلامي تأخذ قوتين هما:

1- القوة الصريحة: أي الإخبار عن صفات المتقين.

2- القوة المستلزمة مقاميا: وهي الثناء على المؤمنين والذم للمشركين [4].

وفي قوله :"والذين يؤمنون بما انزل إليك"

1- القوة الصريحة: وصف المؤمنين.

1- فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث، بيروت، ط3، ج1، ص: 21.

2- البقرة [3،4، 5].

3- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر و التوزيع،1997، ص: 288.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 288.

2- القوة المقامية: « المدح للمؤمنين على إيمانهم وتيقنهم من الآخرة »[1] والذم للمشركين والمنافقين وفي قوله: (أولئك على هدى من ربهم)، المعنى الصريح هو « التقرير والإخبار عن المؤمنين، ومعنى ضمني هو الثناء على المؤمنين وحثهم على البقاء في إيمانهم، والتعريض لمن كذّبوا بنبوة محمد صلى الله عليه و سلم »[2].

وصف الكافرين:

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾** ﴾[3].

إنّ الخطاب في هذه الآيات موجّه من الله سبحانه وتعالى إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهي توضّح فرق المكلفين وهم: مؤمنون، كفار، منافقون.

أمّا بنية الفعل الكلامي هي:

1- الإخبار الصريح عن تكبر الكافرين وهو قول تقريري ينفي الإيمان عن تلك الفئة.

2- الالتزام المقامي: الآية تضّمنت خمسة أفعال منتظمة في القول هي: التأكد، الذم، التشنيع، التسلية، الوعد. إذ أنّ إصرار الكافرين على الكفر ذم لأصحابه وتشنيع لهم وفيه تسلية للرسول بأنّه بلغ الرسالة [4].

وصف المنافقين: هي عبارة عن سلسة من الآيات مثلت فعلا كلاميا عاما هو النفي، على أهل الضلال و تنطوي تحت هذا الفعل الكلامي الكلي أفعال كلامية صغرى هي: التكذيب، الذم، التهكم، الوعيد، الإنكار، الاستهزاء، التجهيل، التحقير، الاستبعاد.

1- الرازي، التفسير الكبير، ص: 37.

2- المرجع نفسه، ص: 37.

3- البقرة: [6، 7].

4-ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 32.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[1].

الآية تتضمن فعلا كلاميا هو « النعي على المنافقين كما تضمّنت الآية معنى التكذيب »[2].

وفي قوله تعالى:﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾[3].

في الآية « نفي للشعور بمعنى العلم الذي لا يخفى إلاّ على فاقد الحواس، لأنّ من لا يشعر بالبديهي المحسوس مرتبته أدنى من مرتبة البهائم، وما فيه من التهكم »[4].

و في قوله أيضا: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾[5].

فمرض القلب مجازي يمنعهم من الإيمان فالفعل المتضمن هنا هو: الوعيد وذلك بسبب النفاق والخداع.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾[6].

وهذا أيضا« سياق تقريري، يتضمن فعلا كلاميا وهو بيان حال المنافقين وانهماكهم في باطلهم»[7]؛ استمرار الكافرين في الغيّ بسبب الغشاوة المضروبة على قلوبهم.

1- البقرة: [08].

2- الألوسي، روح المعاني، ص: 216.

3- البقرة: [09].

4- الألوسي، روح المعاني، ص: 219.

5- البقرة: [10].

6- البقرة:[11].

7- الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، تح. عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004، ص: 84.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ [1].

تضمنت الآية ثلاثة معان هي: الإنكار، الاستهزاء، التجهيل.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ [2].

إنّ الفعل المتضمن في هذه الآية: « الادعاء وإظهار الاستهزاء، بالمؤمنين وهذا سلوك للمنافقين ومعنى آخر الثبات على اليهودية وتعظيم الكفر »[3].

وفي قوله تعالى:﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ [4].

الفعل الكلامي المتضّمن في القول هو التحقير، وقد حمل أهل الحديث وظائفه من أهل التأويل، الاستهزاء منه تعالى على حقيقته[5].

قال تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴿١٦﴾ [6].

الفعل الكلامي الذي تعبّر عنه الآية هو الاستبعاد والنفي في مقام الذم، ونفي الربح عن الخسران.

قال تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ [7].

1- البقرة: [13].

2- البقرة: [14].

3- الزمخشري، الكشاف، تص. مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ط 3، 1987، ص: 66.

4- البقرة: [15].

5- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 133.

6- البقرة: [16].

7-البقرة: [17، 18].

في هذه الآية « عبّر عن الفعل الكلامي، بواسطة التشبيه التمثيلي »[1].

فقد شبّه حال المنافقين بحال الذي استوقد نارا، فقد استعمل الله الأمثال ليقرب من الأذهان معنى الغيبيات، التي لا نعرفها ولا نشاهدها، كما نجد التبكيت في قوله: (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) فقد استخدم التشبيه لأداء فعل إنجازي غير مباشر هو: « تبكيت الخصم الألد، و قع لصولة الجامع الأبي »[2].

والغرض من هذا التشبيه هو وصف حال المنافقين والصيغة الخبرية للآية عبّرت عن ذلك.

كما نجد فعل التقرير في قوله: (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) فقد أذهب الله عنه الأنوار و تركهم في الظلمات لا يبصرون طريق الخلاص[3].

وفي قوله تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾** ﴾[4].

هنا يكلم الله سبحانه وتعالى المنافقون وهو في شأن المنافقين يمثّل: فعل كلامي هو الإيضاح والكشف حيث شبّه دين الإسلام بالصيب لأنّه يحي القلوب، وشبّه الكفار بالظلمات، وشبّه الوعد والوعيد بالرعد والبرق[5].

كما نجد « التهويل وهو فعل كلامي غير مباشر وارد في قوله تعالى: (فيه ظلمات ورعد وبرق)»[6]؛ وهي صورة تمثيلية لشّدة هذا الهول.

1- ينظر: السكا كي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 187، ص: 347.

2- الزمخشري، الكشاف، ص: 72.

3- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 244.

4- البقرة: [19، 20].

5- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 79.

6- المرجع نفسه، ص: 82، 83.

قال تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ [1].

هنا الفعل الكلامي « يفيد الامتنان لأنّه تعالى ذكر بدائع صنعه، وأوجد مصادر الرزق، وهذا ما دّل أنّه منفرد بالإيجاد، ثم نهى عن جعل النّد للمولى عزّ وجلّ »[2].

وفي قوله﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴿٢٧﴾ [3].

وفي هذه الآية فعل القول الذي تضمّن التوبيخ والذّم لأولئك الفاسقين.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [4]

في هذه الآيات أفعال كلامية كثيرة منها: النداء، الأمر، النهي، التقرير، التفخيم، التأكيد.

فكان النداء في الآية الأولى لتنبيه المأمور لما يلقى إليه، ثم النهي عن الأكل من الشجرة ثم تكرّر الأمر في بقية الآيات وكرّر الأمر للتأكيد [5].

1- البقرة: [22].
2- الألوسي، روح المعاني، ص: 276.
3- البقرة: [27].
4- البقرة: [35، 36، 37، 38، 39].
5- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 129.

الإخبار عن التوراة وبني إسرائيل:

أنزل الله تعالى التوراة على بني إسرائيل فجاء في سورة البقرة العديد من الآيات في هذا السياق.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾** ﴾[1].

كان سياق الآيات في عمومه بمعنى التذكير، الامتنان، التعظيم، التفخيم، الترغيب، الترهيب والتقرير.

وهذه المعاني تندرج تحت فعل كلامي كلّي هو التذكير والامتنان وفي السياق تفصيل لأنّعم الله على بني إسرائيل[2].

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾** ﴾[3]

عبّر القرآن بالليالي لا بالأيام، لأنّ عادة العرب التأريخ بالليالي[4].

وفي هذه الآيات مجموعة من الأفعال الكلامية هي: الإخبار، التذكير، الامتنان، الذم، الترجي، ويمكن اعتبار الفعل الكلامي الجامع هو الذم، ففي هذه الأخبار التي يراد بها التذكير، وذم بني إسرائيل لأنّهم عبدوا العجل واتخذوه إلها.

1- البقرة: [49، 50].

2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 361.

3- البقرة: [51، 53].

4- ينظر: عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، أصل الاستدلال بعادة العرب لمعرفة القرآن، مجلة الشريعة، ع، 94، سبتمبر2013، ص: 42.

وفي قوله تعالى: ﴿و إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ [1].

الفعل الكلامي في هذه الآية الإخبارية هو الحث والتحريض على التوبة وتنطوي تحته جملة من الأفعال الكلامية مثل: النداء، التقريع، الإخبار، التحريض، التأكيد، التنبيه، فقد بدأ الخطاب بنداء موسى لقومه تفضلا عليهم وإنّه منهم وهم منه ليدركوا التوبة بعد تقريعهم بأنّهم ظلموا أنفسهم، ثم الأمر المشبع بالتقريع بسبب اتخاذهم العجل[2].

كما نجد في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾[3].

وتتضمن هذه الآيات فعلا كلاميا مباشرا هو الإخبار عن نعم الله كأنّه تعالى قال اذكروا نعمتي حين قلتم ذلك لموسى فأخذتكم الصاعقة ثم أحييتكم لتتوبوا، وكذلك وراء الإخبار والأمر أفعال كلامية غير مباشرة منها: التحذير، التسلية، التذكير، الامتنان، التهكم والتحقير[4].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ [5].

1- البقرة: [54].
2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 366.
3- البقرة: [55، 57].
4- ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ص: 88.
5- البقرة: [58، 59].

هنا نجد الأمر بالدخول وإباحة الإقامة وتدل لفظة (رغدا) على الترخيص بالأكل منها ويحتمل أن يكون وعدا لهم بكثرة المحصولات[1].

وفي قوله تعالى:﴿ **وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾** [2].

الإخبار المتضمن هنا لغرض التذكير بنعمة عظيمة كفروا بها ويحتمل السياق أمر غرضه الامتنان لقدرة الله وإباحته للأكل والشرب، وانتقل للنهي عن الفساد في الأرض[3].

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴿٦١﴾** [4].

الآيات في إطار النّعم والفضائل التي تفضّل الله على عباده بها وقد تدّعم الفعل الكلامي بالتّعرض لعنوان الربوبية في قوله: (فادع لنا ربك)، وكذلك الأمر في قوله: (اهبطوا مصر) ثم جواب الأمر في قوله: (فإنّ لكم ما سألتكم) ولتدعيم القوة الإنجازية للفعل الكلامي استعمل الأداة (ما) التي تدل على الاستهجان ثم انتقل السياق إلى الإخبار والتقرير لأوصاف اليهود في قوله: (وضربت عليهم الذّلة) وهذا الضرب مجازاة لهم على كفرانهم بالنّعم، ووراء الإخبار فعل كلامي غير مباشر هو (الوعيد) بالذّلة والمسكنة والغضب من الله.

1- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 144.
2- البقرة: [60].
3- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 144.
4- البقرة: [61].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ [1].

انتقلت الأفعال الكلامية هنا إلى الترغيب والترهيب والوعد بالثواب على الإيمان والعمل الصالح.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ [2].

في هذه الآيات مجموعة من الأفعال الكلامية تتمثل في الإخبار والغرض منها: التذكير، الرجاء، الذم، التسخير، الامتنان، الأمر، التحقير، التعظيم.

ففي قوله: (وإذا أخذنا) هنا « أمر يراد منه الرجاء، والإخبار الذي يراد به الذّم في قوله: (ثم توليتم)، وذلك لأنّهم امتثلوا للأمر ثم تركوه أمّا الأمر الذي بمعنى التسخير(كونوا قردة خاسئين)؛ أي التذليل و الإهانة »[3].

وقال تعالى: ﴿ ثمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا

1- البقرة: [62].

2- البقرة: [63، 64].

3- السبكي، عروس الأفراح، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ص: 553.

قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ [1].

الخطاب هنا موجّه إلى اليهود، مخبرا عن قبائحهم وكانت الأفعال الكلامية المستعملة لتبليغ الفكرة هي: الإخبار للتعبير عن المبالغة في قسوة قلوبهم، ويعلل "**الزمخشري**" في استخدام هذه الصيغة بقوله: « فإن قلت لم؟ قيل: اشتدت قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه أفعال التفضيل، وأفعال التعجب، قلت: لكونه بيّن، ودلّ على فرط القسوة كأنّه قيل: اشتدت قسوة الحجارة، وقلوبهم أشد قسوة »[2] فهم في ضلال ولا هادي لهم.

ثم يستمر السياق القرآني في كشف قبائح اليهود، وتوضيح نفاقهم مستخدما أنواعا من الأفعال اللّغوية الضمنية: كالعتاب، والتوبيخ، الذي دلّ عليه الإخبار في قوله تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا).

وقال تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾** [3].

1- البقرة: [74، 77].

2- الزمخشري، الكشاف، ص: 155.

3- البقرة:[78،82].

هنا يوجد مبالغة في الوعيد والزجر والتهويل، وهناك أيضا توضيح لأصناف اليهود وبعدها توسّع السياق إلى ذكر أمنياتهم، كما جسدّت الأفعال الكلامية الحوارات الشخصية، التي كانت وسيلة لتقديم الصورة التفصيلية عن اليهود.

وقال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾** ﴾[1].

في هذا السياق تعداد لبعض قبائح أسلافهم والفعل الكلامي هو الإخبار في معنى النهي، وإلى ذلك ذهب"**الفراء**"و يقول أنّه أبلغ من صريح النهي[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَىٰ تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾** ﴾[3].

هنا يستمر السياق في تفصيل الأحداث كخيانة المواثيق، توبيخ اليهود على تناقض أفعالهم فالأفعال الكلامية تنتقل بين الاستفهام الذي يراد به التهديد والتوبيخ على التفريق بين أحكام الله وكذلك الوعد بالخلود في النار، ولتدعيم القوة الإنجازية لفعل الوعيد قال: (يوم القيامة) على ما يقع فيه لتهويل الخطب.

1- البقرة: [83، 84].

2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 428.

3- البقرة: [85، 86].

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾[1].

تبيّن الآية أخبار بني إسرائيل و تبيّن كيف تعامل اليهود مع أنبياء الله.

يوجّه الخطاب هنا إلى« النبي صلى الله عليه وسلم واليهود المعاصرين، والفعل الكلامي الوارد هو توبيخ اليهود على تكذيبهم بالدعوة المحمدية وتندرج تحته أفعال كلامية صغرى هي: التكثير، الاستفهام، التعجب، الإنكار، الاستعظام، فهذه الأفعال المتضمنة في القول تقدم وصفا لليهود فقد جاءت معبرة بصراحة عن طبيعة اليهود وموافقتها لشروط الملائمة من أخبار وشمول وصدق وإفادة»[2].

قال تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ [3].

وهذا طعن آخر لليهود في الإسلام فقالوا: « ألا ترون محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه، و يأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا وغدا يرجع عنه فنزلت هذه الآية » [4]

الفعل الكلامي هنا هو الخبر الذي يتضمن الرّد على اليهود، وهناك استفهام في قوله: (ألم تعلم)؟ فقيل للتقرير أو للإنكار وقد جعله الزجاج تقريرا[5].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

1- البقرة: [87].
2- الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ص: 597.
3- البقرة: [106، 107].
4- الزمخشري، الكشاف، ص: 244.
5- ينظر: الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، ص: 168.

أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ [1].

احتوت الآية على الفعل الكلامي الإخبار وانطوت تحته مجموعة من الأفعال الكلامية منها:

1- التحذير:

في قوله: « (إنّ الذين يكتمون ما أنزل الله) فعل كلامي غير مباشر فيه تحذير للمسلمين مما أحدثه اليهود في دينهم »[2].

2- الوعيد:

هو كلام غير مباشر دلّت عليه الصيغة الخبرية في قوله: (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاّ النار)، وفي هذا وعيد للكاتمين [3].

3-الإخبار:

في قوله: (لا يكلمهم الله يوم القيامة) كناية عن الغضب.

4- التوبيخ: في قوله: (ولا يزكيهم) وذلك « لأنّه إذا نفيت التزكية أعقبها الذم والتوبيخ، فهو كناية عن ذمهم في ذلك الجمع، إذ ليس يومئذ سكوت »[4]، لأنّ ذلك يوم الفصل والحساب.

1- البقرة: [174، 176].

2- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981، ص: 341.

3- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 606.

4- الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ص: 124.

5- التعجب:

في قوله تعالى: "فما أصبرهم على النار"؛ أي « ما أشدّ صبرهم فهؤلاء يجب أن يتعجّب منهم، لارتكابهم ما يوجب النار من غير مبالاة، وإنّما لا يوصف الله تعالى بالتعجب لأنّ التعجب استعظام يصحبه الجهل، وهو سبحانه منزّه عن ذلك »[1].

6- التأكيد:

فعل كلامي غير مباشر دّل عليه قوله تعالى: (وإنّ الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)؛ أي أنّ « الذين اختلفوا فيما أنزل الله هم في معاداة لا تنقطع »[2].

7- الذم:

في قوله تعالى: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) وقد بالغ الله في ذمهم، لأنّهم اختاروا الضلال على الهدى.

قال تعالى: ﴿**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾**﴾[3].

تتضمن الآية الأفعال الكلامية التالية:

1- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان، ص: 335.

2- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 128.

3- البقرة: [177].

1- الإخبار: « والمراد هنا تلقين المسلمين الحجة على أهل الكتاب في تهويلهم على المسلمين إبطال القبلة التي كانوا عليها، ويكون النفي على معنى نفي الكمال »[1]؛ إعطاء الدليل للمؤمنين حتى تثبت الحجّة على الكافرين في اتجاه القبلة.

2- النهي: وهو فعل كلامي غير مباشر دلّت عليه الصيغة الخبرية: (ليس البر أن تولوا وجوهكم) والنهي هنا موجّه إلى المؤمنين بأن لا يتعلقوا بشريعتهم بأيسر شيء وإنّما لا بدّ عليهم بالعمل بجميع تكاليف الشريعة [2].

3- التعريض: تعريض على المسلمين إبطال القبلة وحصرهم الدين كلّه بالقبلة، وعدم الاشتغال بأمرها فقط وهي الشعيرة التي أسقطها الله على الناس في حال العجز[3].

4- الاعتراض: في قوله: (سيقول السفهاء من الناس)، و« أنّه ختام للمحاجة في شأن تحويل القبلة وأنّ ما بين هذا وذلك كلّه اعتراض »[4].

قال تعالى: ﴿ **كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴿٢١٣﴾ ﴾[5].

وتتضمن هذه الآية جملة من الأفعال الكلامية هي: الإخبار، الذم، الامتنان، التقرير.

1- الإخبار: فعل مباشر في قوله: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين)؛ أي أنّ الناس كانوا متفقين على الدين الواحد ثم اختلفوا فبعث الله الأنبياء[6].

1- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 130.
2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 130.
3- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير التنوير، ص: 128.
4- المرجع نفسه: ص: 128.
5- البقرة: [213].
6- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 256.

2- الذّم: أيضا فعل كلامي غير مباشر ورد في قوله: (وما اختلف فيه إلاّ الذين أوتوه من بعدما جاءتهم البيّنات)، وهي حقيقة أخرى من أحوال الاختلاف بين الأمم، لأنّ القرآن ذمّ الذين اختلفوا بعد نزول الكتب.

وأنّ الحامل على الاختلاف هو البغي (بغيّا بينهم)[1] الظلم المنتشر بينهم في ذلك الزمن.

3- التحذير: هنا بيان العجب من حال البشر في تسرّعهم إلى الضلال وتحذير المسلمين من الوقوع في ذلك[2] فيه تنبيه من السير على خطى اليهود.

4- التعريض: « وهنا أيضا تعريض بأهل الكتاب، فيما صنعوا بكتبهم من الاختلاف، وهذا بديع القرآن في توبيخ أهل الكتاب »[3]؛ فالقرآن قد وبّخ المحرفين للكتب السماوية.

5- الامتنان: في قوله: (فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه)، فهدى الذين آمنوا بتوفيقه، فامتنّ الله على عباده المؤمنين بهدايتهم إلى الحق[4].

6- التقرير: فعل كلامي غير مباشر في قوله: (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) تبيّن أنّ فضل الله يعطيه من يشاء.

قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾** ﴾[5].

تحتوي هذه الآية مجموعة من الأفعال الكلامية هي:

1- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 366.

2- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ص: 308.

3- المرجع نفسه، ص: 309.

4- ينظر الرازي، التفسير الكبير، ص: 17.

5- البقرة:[255].

1- الإخبار: في قوله: (الله لا اله إلّا هو الحي القيوم) وهو إخبار مثبّت للوحدانيّة لله وإبطال إلهية الأصنام.

2- الإثبات: على أنّ المستحقّ للعبودية هو الله سبحانه وتعالى[1].

3- التقرير: في قوله: (لا تأخذه سنة ولا نوم) وتقوم بوظيفة تبيين لمعنى الحي القيوم وكذلك نفي استيلاء السنة و لنوم على الله تعالى.

4- الإستفهام الإنكاري: في قوله: (من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنّه).

5- التيئيس: فعل كلامي غير مباشر في قوله تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده)، فيه تيئيس للكفار حيث زعموا أنّ آلهتهم شفعاء لهم عند الله[2].

6- التعظيم: وهو فعل كلامي غير مباشر حيث دلّت عليه الصيغة الخبرية في قوله تعالى: (ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) ووجه عظمته أنّه لا يثقله حفظ السموات والأرض.

قال تعالى: ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾** ﴾[3].

فهذه آيات فيها أحكام متفرعة من الأمر بالقتال وأفعالا كلامية متنوعة منها:

1- النهي: وفيه إخبار بمعنى النهي وهو وارد في قوله: (لا إكراه في الدين) ولتدعيم القوة الإنجازية للفعل الكلامي استعمل السياق الأداة (قد) وذلك من أجل التحقيق لتقرير المضمون وتعليله[4].

1-ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 18.

2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 18.

3- البقرة: [256، 257].

4- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 20.

2- التقرير: وهو فعل كلامي غير مباشر في قوله: (فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) فوظيفة هذه الجملة، « تقرير ما قبلها، والمعنى أنّ المؤمن ثابت اليقين سالم من اضطراب القلب، ناج من السقوط كحال من تسمك بعروة حبل متين ».[1]

3- الوعد والوعيد: وهو فعل كلامي غير مباشر في قوله: (والله سميع عليم) فالآية تتضمن وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين.

4- الوعيد والتحذير: في قوله: (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وعد وتحذير للكافرين وهم الفئة المضادة للمؤمنين.

وفي قوله تعلى: ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴿٢٨٦﴾ [2].

تحوي هذه الآيات مجموعة من الأفعال الكلامية هي:

1- التقرير: في قوله: (لله ما في السموات وما في الأرض)؛ أي أنّ جميع الأمور بيد الله، كما نبّه إلى صفة العلم التي بها تقع المحاسبة[3].

2- التنبيه: في قوله: (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) فمعنى ذلك أنّ الناس هم عبيده وهو محاسبهم.

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 29.

2- البقرة: [284، 286].

3- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 750.

3- الوعيد والوعد: وهما فعلان كلاميان غير مباشران في قوله: (وإن تبدوا ما أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)، فصفة الملك تدل على القدرة فحصل بذكر هذين الوصفين غاية الوعد للمطيعين وغاية الوعيد للعاصين وبيّن "**القاضي عبد الجبار**" أنّ أفعال القلوب كأفعال الجوارح في أنّ الوعيد يتناولها[1].

4- المدح والثناء: في قوله: (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله) مدح الله رسوله والمؤمنين على إيمانهم وأثنى عليهم بقولهم سمعنا وأطعنا و قد رجعوا إلى الاستكانة.

5- التعريض: في قوله: (لا نفرق بين أحد من رسله) المتكلم هنا هو الله يخاطب المؤمنين « والمعنى أنّهم ليسوا كاليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض »[2].

6- التقرير: في قوله: (وإليك المصير) و« هي إقرار بالمعاد والرجوع والبعث؛ أي في الجملة تقرير وإقرار »[3]؛ فيها نفي للخلود وإثبات لليوم الآخر.

7- تقرير وترغيب: في قوله: (سمعنا وعصينا)؛ أي « ما كسبت من خير وما اكتسبت من شر وطمأنة للمؤمنين لأنّ الخواطر ليست من كسب الإنسان »[4]؛ ليس للإنسان سلطة على ذلك.

8- الإقرار: في قوله: (أنت مولانا)؛ أي سيدنا ومتولي أمرنا[5].

- **أفعال الكلام في القصص القرآني:**

1- قصة بقرة بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ**

1- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 750.
2- المرجع نفسه، ص: 758.
3- الألوسي، روح المعاني، ص: 93.
4- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 762.
5- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 96.

إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ [1].

في هذه القصة بناء سردي قائم على مبادئ سبقية استرجاعية، ويبيّن السبب الذي أمر الله من أجله بني إسرائيل أن يذبحوا البقرة.

لقد بنيت القصة على جملة من الأفعال الكلامية يندرج معظمها تحت الإخبار، « وقيل أنّ الحكمة في الأمر من ذبح البقرة إظهار توبيخهم في عبادة العجل »[2]؛ فيها أمر بالتحريم.

وقد جاءت هذه الأفعال الكلامية كالتالي:

1- الأمر: في قوله تعالى: (إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) لأنّ الله أمر بني إسرائيل بذبح هذه البقرة.

2- مجادلة بني إسرائيل: فقد استخدم هنا مجموعة من الأفعال الكلامية تدور حول الاستفهام والأمر ومثال ذلك قوله: (ما هي)؟ وهو استفهام لتبيان أمر مبهم جامع.

والأمر في قوله تعالى: (فافعلوا ما تؤمرون) غرضه التحريض على الامتثال ثم استفهام آخر في قوله: (ما لونها)؟.

1- البقرة: [67، 73].

2- الألوسي، روح المعاني، ص: 408.

3- ذبح البقرة: وهنا استعملت أفعال إنجازية دالة على المطاوعة وذلك في قوله: (وإن شاء الله لمهتدون) وكذلك فعل كلامي دال على الاستبطاء في قوله: (فذبحوها وما كادوا يفعلون).

4- التعرف على القاتل:

وذلك في قوله تعالى: (فقلنا اضربوه ببعضها)، و هنا فعل أمري لإظهار قدرة الله على الإحياء في قوله: (كذلك يحي الله الموتى)، و هي جملة اعتراضية تفيد تحقق الحياة بعد الموت ووظيفة هذه الجملة هنا هي وظيفة الذيل، والذيل وظيفة تداولية تحمل« المعلومة التي توضح معلومة داخل الجملة لتعدلها أو تصححها »[1]؛ هي جملة تبيّن أو تعدّل أو تصحّح ما قبلها.

تعتبر غاية الإخبار مسلكا للتوضيح والإقناع ومن الوسائل التي تجعل الفعل الإخباري ناجحا هي جهل المخاطب بما سيقوله المخاطب ويعتبر الاستفهام أحد الوسائل المستعملة في التوضيح ويعتبر السياق العام لهذه القصة قد استدعى العدول عن مقتضى الظاهر المفهوم[2].

- **قصة طالوت وجالوت:**

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم**

1- أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1، 1985، ص: 174.
2- ينظر: محمد أحمد أبو عامود، البلاغة الأسلوبية، مكتبة الآداب، ط. 1، 2009، ص: 32.

مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾ [1].

وتحتوي هذه القصة على « أخبار بني إسرائيل من بعد نبيهم موسى واعتمدت الآيات على أفعال التلاوة والقص وهذه مجرد صور من صور الإخبار »[2].

1- تبدأ القصة بمخاطبة الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وبدأ باستفهام يعبر عن التعجب وعبر عن الحادثة « كأنّها حادث واقع ومشهد منظور »[3].

2- حدوث تحول في القصة حين أعرض بنو إسرائيل عن تنفيذ أمره تعالى بالقتال.

و في قوله: (والله عليم بالظالمين)، فعل إنجازي هو الوعيد على ترك الجهاد وفي قوله: (قالوا أنّى يكون له الملك علينا ونحن أحقّ بالملك منه)، ويراد به الاستفهام أو التعجب.

أمّا في قوله: (إنّ آية ملكه أن يأتيهم التابوت فيه سكينة من ربكم)، و« هو إخبار عن مجيء التابوت »[4].

1- البقرة: [246، 252].

2- سعيد جبار، الخبر في السرد العربي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط. 1، 2004، ص: 17.

3- سيد قطب، في ظلال القرآن ، ص: 266.

4- بشار إبراهيم نايف، البنية الزمنية في القصة القرآنية، دار الكتب العلمية، ط. 1، 2011، ص: 99.

وفي قوله: (قال الذين يظنون أنّهم ملا قوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله)، وهذا الإخبار يحتمل فعل إنجازي بمعنى التشجيع.

أمّا في قوله تعالى: (قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)، « وفيها جعل الصبر بمنزلة الماء المنصب تنكيرا للفظ (صبرا) الدال على التفخيم »[1].

3- قصة ابراهيم:

قال تعالى: ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾** ﴾[2].

هذه القصة فيها مناظرة بين إبراهيم وبين طاغية مغرور قد بدّل شكرانه لله وأنكر وجوده، «ولهذه القصة صلة مباشرة بآية الكرسي وما أقرّته من صفات الله »[3].

أمّا بالنسبة للحوار الذي حصل بين إبراهيم والطاغية عرض على الرسول صلى الله عليه وسلم في أسلوب تعجبي[4].

وقد حوت هذه القصة العديد من الأفعال الكلامية منها:

1- الاستفهام: ويعبر عن إنكار النفي.

2- التعجب: في قوله: (ألم تر).

3- الإدعاء: في قوله: (أنا أحي وأميت).

4- الأمر: في قوله: (فأت بها من المغرب)، وهو فعل كلامي يتضمن التعجيز.

1- الألوسي، روح المعاني، ص: 777.

2- البقرة: [258].

3- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 296.

4- ينظر:عبد الحميد طهماز، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط. 1993،1، ص: 292.

يحيط هذه الأفعال الكلامية فعل تأثيري ناتج عن القول يستنتج من خلال خضوع المجادل وذلك في قوله: (فبهت الذي كفر) فإبراهيم عليه السلام استخدم الحجة لإقناع المجادل[1].

4- قصة عزيز:

قال تعالى: ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾** "[2].

في هذه القصة المتكلم هو الله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم وقد وردت العديد من الأفعال متتابعة حسب مراحل هذه القصة. فقد بدأت القصة بالاستفهام الموجّه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في قوله تعالى: (أو كالذي مرّ على قرية)، و« الفعل الكلامي المراد من هذا الاستفهام هو التعجب ثم انتقل إلى استفهام آخر وهنا جاء هذا الاستفهام على لسان عزير في قوله: (قال آنّى يحي هذه الله بعد موتها)؟ استعظاما لقدرة المحيي »[3].

ثم تأتي مرحلة موت عزيز في قوله: (فأماته الله مائة عام) ثم عطف عليه بخبر آخر في قوله: (ثم بعثه) ثم يبدأ حوار ثنائي فيه الاستفهام والاستعلام ومن هذه الاستفهامات فعل منجز متضمن إظهار العجز عن الإحاطة بشؤون الله.

ثم جاءت أفعال الأمر متتالية بالأمر في قوله: (فانظر إلى طعامك)، وغرضه الإقناع وكذلك قوله: (وانظر إلى حمارك)، وفي قوله: (وانظر إلى عظامك)، دلالة على طول المكوث على هذه الحال.

1- ينظر: رضوان الرقبي الاستدلال الحجاجي التداولي، مجلة عالم الفكر، مج40 ،2011، ص: 22.

2- البقرة: [259].

3- الألوسي، روح المعاني، ص: 29.

أمّا المرحلة الأخيرة من القصة جاءت باعتراف **"عزير"** بالحقيقة بعد المعاينة في قوله: (فلمّا تبين له قال أعلم أنّ الله على كل شيء قدير) والقوة الإنجازية المتضمنة في القول هي الاستعظام لهذا الأمر وبذلك تنتهي القصة وهي المرحلة التي تسمى« حالة استرجاع التوازن »[1].

فالمخاطب قد استجاب واقتنع في هذه المرحلة النهائية.

وقد يكثر في القصص القرآني سياقات الوعد والوعيد والوعظ.

2- الأفعال الكلامية التوجيهية: التوجيهيات أفعال كلامية غرضها هو توجيه المخاطب إلى فعل أمر ما أو التأثير فيه ؛ بمعنى أنّها تقوده أو تدفعه للقيام بالفعل.

تتميز التوجيهيات بالأسلوب المباشر والتعبير الصريح الذي لا يسمح بغرض التأويل للمتلقي وهي تضّم كلّ الأفعال الكلامية الدالة على الطلب[2]؛ أي أنّ فعل التوجيه خال من اللبس.

ومن مستلزمات التوجه التي تقوي الفعل الكلامي هي: ربط إنجاز الفعل بالوعد والوعيد، ذكر العواقب والنهايات[3]؛ أي أنّ ذكر النهاية يوجب بداية معينة إن خيرا فخير أو شرا فشر.

« فبمجرد نطق المتكلم بصيغة الأمر، يكون قد أضفى على نفسه مرتبة الآمر، فيصبح الآخر في مرتبة المأمور »[4]؛ أي أنّ فعل الأمر يبيّن مباشرة الآمر من المأمور وقد تخرج أفعال الأمر إلى معاني أخرى حسب العلاقة بين الآمر والمأمور.

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ** ﴿٢١﴾ ﴾[5].

1- السيد ابراهيم، نظرية الرواية، ص: 43.

2 - ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة، ص: 100.

3- ينظر: الشاطبي، الموافقات، ص: 140.

4- عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2013، ص: 48.

5- البقرة: [21].

تتوفر هذه الآية على الفعل الكلامي النداء وهذا النداء هنا محفز للملتقي ومنبها له تنبيها يفيد التوكيد ثم جاء قوله: (اعبدوا ربكم) وهو أمر بالعبادة في الحال[1].

وفي قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)، وهو هنا فعل كلامي دال على «النهي أو المنع على وجه الاستعلاء »[2]؛ وهو تحريم على جعل الندّ لله سبحانه وتعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾** [3].

الفعل الكلامي في الآية غرضه التعجيز والتّحدي للإتيان بسورة فوق احتمالهم وقدرتهم[4].

و في قوله تعالى: ﴿ **فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾** [5].

فالفعل الكلامي هنا الوعد لما فيه من تخويف للجاحدين وتنطوي تحته جملة من الأفعال الكلامية الصغرى مثل: الأمر، التهكم، التهويل، التنفير وكلها تعبير عن الإعجاز بالإخبار عن الغيب[6].

وفي قوله تعالى: ﴿ **وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾** [7].

1- ينظر: الالوسي، روح المعاني، ص: 266.
2- العلوي، الطراز، تح. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط. 1، 2002، ص: 156.
3- البقرة: [23].
4- ينظر: عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مطبعة الاستماع، الاسكندرية، مصر، ص: 80.
5- البقرة: [24].
6- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 101.
7- البقرة: [25].

الفعل الكلامي المنجز في هذه الآية هو الوعد المؤكّد بتعداد النّعم ووصف حال المؤمنين في الجنة.

قال تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾ [1].

تحتوي هذه الآيات على العديد من الأفعال الكلامية من أمر وتأكيد وترغيب وتخصيص وتوعد وعرض وحث على الشكر، أقبل الله في هذه عليهم بالنداء في قوله: (يا بني إسرائيل) ويندرج ضمنها الفعل الكلامي الأمري الذي يتطلّب موقع السلطة[2].

و في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ [3].

في الآية فعل كلامي يتضمن معنى النهي وفي الثانية أمر على فعل الطاعات لأنّ الإقدام على الأمور القبيحة عن علم أعظم من الإقدام عليها عن الجهل[4]؛ فيها استعظام لفعل القبائح عن علم.

قال تعالى:﴿ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ [5].

تتضمن هذه الآيات مجموعة من الأفعال الكلامية تندرج تحت فعل كلامي كلّي هو التوبيخ يظهر من نبرة الخطاب لأنّ اليهود من المدينة يأمرون بإتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتّبعونه

1- البقرة: [40، 41] .
2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 290.
3- البقرة: [42 ، 43].
4- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 291.
5- البقرة :[44، 46].

ويأمرون بالصدقة ولا يتصدقون، وتتضمن الوعيد على الخيانة ومخالفة الأقوال للأعمال[1]؛ فيه عتاب على مخالفة الأفعال للأقوال والنوايا.

قال تعالى: ﴿... **وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴿١٠٢﴾ [2].

تتضمن الآية إخبارا عن الذين يتعلمون السحر ويتركون كتاب الله في قول "**السيد قطب**": « ولقد علموا أنّ الذي يشتريه لا نصيب له في الآخرة، فهو حين يختاره ويشتريه يفقد كل رصيد له في الآخرة، فما أسوأ ما باعوا به أنفسهم لو كانوا يعلمون حقيقة الصفقة »[3].

لأنّ من يجري خلف السحر وتعلمه فقد باء بغضب من الله وخسر كل فرص الغفران في الآخرة.

فالغرض الإنجازي لهذه الأفعال هو التعريض والتوبيخ والذّم الشديد لهذه الفئة[4].

قال تعالى ﴿ **أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴿١٠٨﴾ [5]

تتضمن الآية التحذير من أحوال اليهود المذمومة[6].

أما مقام السياق فهو مقام إنكار، وتحذير ونهي، وهذا المقام عبّر عن أكثر من فعل كلامي بغرض تحذير المسلمين من الوقوع في المغبّة التي وقع فيها بنو إسرائيل.

1- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 133.
2- البقرة: [102].
3- سيد قطب، في ظلال القرآن، ص: 96.
4- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 479.
5- البقرة: [108].
6- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 666.

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ [1].

الخطاب في هذه الآية موجّه من الله إلى المؤمنين ليبيّن لهم الأحكام المتعلقة بالقصاص إذ أنّ: « أهل الجاهلية إذا قتّل لهم عبد قالوا لا نقتل به إلاّ حرا، وإذ قتّلت امرأة قالوا لا نقتل بها إلاّ رجلا، وإذا قتّل لهم وضيع قالوا لا نقتل به إلاّ شريف »[2].

و قد توفرت الآية على عدد من الأفعال الكلامية هي:

1- النداء: استهلّت الآية بنداء للمؤمنين وهو فعل كلامي مباشر« فحين جاء بالنداء من قبل الله للعباد جاء نداء ثابتا »[3]؛ فهو نداء خالص يخصّ فئة المؤمنين.

2- الأمر: جاء الأمر بالقصاص في القتلى في قوله: (كتب).

« فكتب هنا إخبار عمّا كتب في اللوح المحفوظ وسبق به القضاء »[4].

3- التخصيص: و هو فعل كلامي غير مباشر في قوله: (الحر بالحر و العبد بالعبد والأنثى بالأنثى) و في تفسير للإمام "**الرازي**" لهذه الآية يقول: « إن من فوائد إبطال ما كان عليه أهل الجاهلية من مخالفات ففائدة التخصيص زجرهم عن قتل العبد بالحر، والآية محكمة واضحة »[5].

4- التوصية: و هو فعل مباشر في قوله: (فمن عفي له من أخيه شيئ فاتباع بمعروف و أداء إليه بإحسان)، فالله يحث على العفو والمسامحة؛ أي أنّه أمر بالعفو عن القاتل و ذلك في قول الزمخشري:

1- البقرة: [278].

2- القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: 165.

3- الشاطبي، الموافقات، ص: 68.

4- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص: 164.

5- ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ص: 54.

« فليتبع الولي القاتل المعروف بأن لا يعنف به و لا يطالبه إلاّ مطالبة جميلة و ليؤدي إليه القاتل بدل الدم أداء بإحسان بأن لا يبخسه و لا يمطله »[1].

5- الوعيد: دلّت الآية عليه في صيغتها الخبرية في قوله: (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم)؛ أي أنّه بعد حكم التخفيف من الله من يرتدّ و يأخذ القصاص فجزاؤه سيكون عذابا أليما « وذلك أن أهل الجاهلية إذا عفوا وأخذوا الديّة ثم ظفروا بعد ذلك بالقاتل قتلوه »[2].

قال تعالى: "و إذا سألك عبادي عني فإنّي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي و ليؤمنوا بي لعلهم يرشدون"[3].

تتضمّن الآية عددا من الأفعال الكلاميّة هي:

1- التّشريف: في مخاطبة الله للنّبي صلّى الله عليه وسلّم وإعلاء لمنزلته في قوله: (وإذا سألك عبادي عني).

2- التّقرير: في قوله: (فإنّي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني)، وفيه تقرير للإستجابة إلى دعوة الداعي.

قال تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴿١٨٧﴾** ﴾[4].

وتتضمن الآية جملة من الأفعال الكلامية هي:

1- الزمخشري، الكشاف، ص: 222.
2- الرازي، التفسير الكبير، ص: 59.
3- البقرة : [186].
4- البقرة : [187].

1- الإخبار: في قوله: (أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)؛ وهو فعل كلامي مباشر بصيغة واضحة.

2- الأمر: فعل كلامي توجيهي في قوله: (فالآن باشروهن) ويقتضي الإباحة معناه « قد أحلّ الله لكم ما حرّم عليكم »[1].

3- النهي: وهو فعل مباشر في قوله: (ولا تباشروهنّ وأنتم عاكفون في المساجد)؛ وهو «نهي يراد به التحريم »[2].

ونهي آخر في قوله: (تلك حدود الله فلا تقربوها)؛ وفيها نهي عن الاقتراب من الباطل مهما كان نوعه.

4- الدعاء: في قوله: (اتبغوا ما كتب الله لكم) يبدوا أنّ الآية جاءت بصيغة الأمر ولكنّها تتضمن الدعاء؛ أي اطلبوا ما قدّره الله لكم وقولوا: « اللهمّ ارزقنا ما كتبت لنا »[3].

5- التقرير: في قوله: (كذلك يبيّن الله آياته للناس)؛ جاءت هذه الآية لتثبيت وتقرير ما سبق من الأحكام.

6- الترغيب: في قوله: (كذلك يبيّن الله آياته للناس لعلّهم يتقون)؛ وفيه تحبيب وترغيب لامتثال الأحكام السابقة.

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿١٨٨﴾** ﴾[4].

تتضمّن الآية بعض الأفعال الكلامية هي:

1- أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تح. علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1987، ص: 91.

2- إدريس بن خويا، البحث الدلالي عند الأصوليين (الشوكاني)، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ط.1، 2009، ص: 144.

3- الألوسي، روح المعاني، ص: 636.

4- البقرة: 188.

1- النهي: وهو فعل كلامي مباشر دلّت عليه القوة الإنجازية الحرفية والنهي عن الأكل المحرّم ظلما وطغيانا؛ أي « لا يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يشرّعه الله»[1].

و في قوله: (وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم).

وفيه نهي عن الذهاب بالخصومة إلى الحكام من أجل أخذ حق الغير عن طريق الرشوة[2].

4- التوبيخ: « وهو فعل غير مباشر في قوله: (وأنتم تعلمون) يعني أخذهم حقّ الغير وهم يعلمون أنّهم على باطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها »[3].

قال تعالى: ﴿ **الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾**"[4].

في هذه الآية مجموعة من الأفعال الكلامية هي:

1- الإخبار: وهو فعل مباشر في قوله: (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص)؛ أي أنّ الله حرّم القتال في الشهر الحرام وفي قول **"الزجاج"**: ومعناه قتال الشهر الحرام[5].

2- الإباحة: في قوله تعالى: (الشهر الحرام بالشهر الحرام)؛ يعني أنّهم إذا أرادوا قتالكم في الشهر الحرام ردّوا عليهم بالمثل؛ أي واحدة بواحدة وذلك في قولهم صاع بصاع وليس ثمّة شهران بل المراد انتهاك الحرمة منهم ومنكم و هما انتها كان[6].

1- الزمخشري، الكشاف، ص: 233.

2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 642.

3- الزمخشري، الكشاف، ص: 233.

4- البقرة: [194 ، 195].

5-.ينظر: أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 272.

6- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ص: 210.

3- الأمر: فعل مباشر في قوله: (فمن اعتدى عليكم اعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)؛ أي العقوبة بالمثل[1].

4- النهي: فعل مباشر في قوله: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) « وفي هذا الأمر وهذا النهي من الحضّ على الجهاد ما لا يخفى »[2]؛ فيه فرض الجهاد على القادر.

5- الأمر: فعل كلامي مباشر في قوله: (وأحسنوا) وهو أمر بالإحسان وذلك بالوقوف عند الحدود[3].

6- الترغيب: في قوله تعالى: (إنّ الله يحب المحسنين)؛ إذ أنّ الإحسان هدف لبلوغ محبة الله.

قال تعالى: ﴿ **وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾** ﴾[4]

وتتضمن الآية عدادا من الأفعال الكلامية هي:

1- الأمر: هو فعل مباشر في قوله: (وأتّموا الحج والعمرة لله)؛ وهوأمر فيه إتمام الحج والعمرة بكلّ شروطهما، ولابدّ من إخلاص العمل والنية في ذلك لله سبحانه وتعالى[5].

قال تعالى: ﴿ **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي**

1- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 272.
2- المرجع نفسه، ص:272.
3- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير و التنوير، ص: 216.
4- البقرة: [196].
5- ينظر: المرجع السابق، ص: 272.

الْأَلْبَابِ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ [1].

يوجد في هذه الآية مجموعة من الأفعال الكلامية منها:

1- التقرير: في قوله: (الحج أشهر معلومات)؛ أي أنّه لاحجّ إلاّ في الشهور المخصصة للحج« إذ يفهم أنّه لا يصّح الحج في أوقات غير هذه الشهور المحددة »[2]؛ لأنّ أهل الجاهلية كانوا يجيزونها في غير هذه الأشهر[3].

2- النهي: في قوله: (فمن فرض فيهنّ الحجّ فلا رفث ولا فسوق)؛ أي أنّه نهى عن كلّ ما يفسد الحج، بقوله: (لا رفث)، (ولا فسوق)؛ يعني أنّه لا جدال بانتفاء الخلاف في الحجّ[4].

3- الإخبار: في قوله: (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) قال " **الألوسي**": « أي لا ترفثوا وافعلوا الخيرات، وفيه التفات وحث على الخير عقيب النهي عن الشر ليستهل به »[5]؛ أي أنّ الله يعلم أي خير يقوم به الإنسان فلا تخفى عليه خافية .

1- البقرة: [197، 202].

2- إدريس بن خويا، البحث الدلالي عند الأصوليين، ص: 151.

3- ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ص: 173.

4- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 664.

5- الألوسي، روح المعاني، ص: 664.

4- الأمر: في قوله: (وتزودوا فإنّ خير الزاد التقوى).

نزلت هذه الآية « في طائفة من العرب يحجون ولا يتزودّون ويقولون نحن متوكّلون ثم يقدمون ويسألون فكانوا عالة على الناس فنهوا عن ذلك وأمروا بالزاد »[1]؛ وفيه أمر على التحّلي بالطاعات من أجل الدار الآخرة.

5- النداء: في قوله: (واتقون يا أولي الألباب)، « ينادي سبحانه من هم أهل للخطاب باتّقاء عقابه وذلك بمخالفة ما نهى عنه »[2].

6- الإباحة: في قوله: (ليس عليكم جناح أن تتبعوا فضلا من ربكم)؛ أي « أنّ الله أباح للحجاج في ابتغاء التجارة أوغير ذلك من الأعمال المساعدة على شقاء الدنيا »[3]؛ فيه ترخيص بالمتاجرة في الحجّ من أجل التغلب على متاعب الحياة.

7- الأمر: في قوله: (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام)، وهو أمر بذكر الله مع التسبيح والتحميد والتهليل[4].

8- التبيين: في قوله: (فمن الناس من يقول ربنّا أتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق)؛ أي أنّ الحاج له مطلب دنيوي وآخر أخروي وأنّ الله حسابه سريع إن خيرا فخير وإن شرا فشر[5].

قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾** ﴾[6].

تحتوي هذه الآية مجموعة من الأفعال الكلامية هي:

1- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص: 273.
2- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 213.
3- المرجع نفسه، ص: 314.
4- ينظر: الرازي، التفسير الكبير، ص: 192.
5- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 314.
6- البقرة: [215].

1- الإرشاد: سألوه صلى الله عليه وسلم فيما ينفقون أموالهم، يكون الإنفاق إلى أقرب الناس: الوالدان والأقربين، ثم اليتامى والمساكين ثم ابن السبيل[1].

2- الترغيب: في قوله: (وما تفعلوا من خير) فعل كلامي تضمن الترغيب في وجوه الإحسان جميعها.

قال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴿٢٢٠﴾** ﴾[2]

نجد في هذه الآيات الأفعال الكلامية التالية:

1- التوبيخ: في قوله: (يسألونك عن الخمر والميسر)؛ وهو فعل كلامي غير مباشر أريد به التوبيخ حيث أرادوا إفتاء الرسول صلى الله عليه وسلم في الخمر مع علمهم أنّها مسلبة للعقل فجاءت في موضع توبيخ[3].

2- الإخبار: في قوله: (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما)؛ ومع ذلك فهو خبر يذّم الخمر والميسر[4].

3- الترغيب: في قوله: (ويسألونك ماذا ينفقون قل كذلك يبيّن الله لكم آياته)؛ أي عليهم أن ينفقوا ما فضل من الأهل من غير إسراف أو ما سمحت به النفس أو عن ظهر غنى وقال أقواه عندي: الفضل[5].

1- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 377.

2- البقرة: [219، 220].

3- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ص: 260.

4- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 701.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 408.

4- الرجاء: في قوله: (كذلك يبيّن الله لكم الآيات لعلّكم تتفكرون في الدنيا والآخرة) من خلال هذه الآيات التي تستدعي إلى التدّبر والتفّكر ويكون توضيح هذه الآيات لرجاء التفكر في أمر الدنيا والآخرة[1].

5- الوعد والوعيد: في قوله تعالى: (والله يعلم المفسد من المصلح)؛ فالفعل الكلامي غير مباشر فالوعيد للمفسد والوعد للمصلح في أمر الأيتام وللقوة الإنجازية استعمل (من) للفصل بين المصلح والمفسد[2].

6- التأكيد: في قوله: (إنّ الله عزيز حكيم)؛ وهي دلالة على تأكيد الغلبة لله، وحكيم: للدلالة على أنّه لا يفعل أمرا إلّا بما تقتضيه الحكمة[3].

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾** "[4].

الأفعال الكلامية في هذه الآية جاءت كالتالي:

1- النهي: في قوله: (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن)؛ وفيه نهي عن وقوع هذا الفعل وظاهر هذا النهي في قوله: (ولا تنكحوا)؛ « لتحريم الزواج منهنّ حتى إقرارهنّ بالشهادة »[5].

2- الترغيب: في قوله تعالى: (ولآمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم)؛ وفي هذا « تفضيل الآمة المؤمنة على المشركة ولو حرة، ففي الآية تنفير من نكاح الحرة المشركة »[6].

1- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط ، ص: 408.

2- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 705.

3- ينظر: المرجع نفسه، ص: 705.

4 - البقرة: [221].

5- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 417.

6- الألوسي، روح المعاني، ص: 708.

4- النهي: في قوله: (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)، « ولما لم يجز نكاح العبد المشرك للمؤمنة لا يجوز نكاح المسلم للمشركة »[1].

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٢٣٢﴾ [2].

تتضمن هذه الآية الأفعال الكلامية التالية:

1- النهي: في قوله: (إذا طلقتم النساء فبلغنّ أجلهنّ فلا تعضلوهنّ أن ينكحنّ أزواجهنّ)، فيه نهي عن تعضيلهنّ لدفع الضرر عنهنّ، لأنّه إذا انقضت العدة لا تمنع المرأة أن تتزوج من تريد وعظّم الله العضل لأنّه من لم يكن مؤمنا لا يمتنع عمّا نهى الله عنه[3].

2- التّذكير: في قوله: (ذلكم أزكى لكم وأطهر) وفيه حثّ على تمكين التزويج دون تعطيل على ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ [4].

الأفعال الكلامية الواردة في الآيات جاءت كالتالي:

1- ابن العربي، أحكام القرآن، ص: 157.
2- البقرة: [232].
3- ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ص: 511.
4- البقرة: [236، 237].

1- النّفي: في قوله تعالى: (لا جناح عليكم أن طلّقتم النساء ما لم تمسوهنّ)؛ أي « أنّه إن لم تمسوهنّ لا يوجب عليكم المهر »[1].

2- الأمر: في قوله: (وأن تعفوا أقرب للتقوى)؛ أي « لا تتركوا أن يتفضّل بعضكم على بعض كالشيء المنسي »[2]؛ ففي الأمر ترغيب وتحبيب.

3- التأكيد: في قوله: (إنّ الله بما تعملون بصير)؛ فيه تحفيز على امتثال الأوامر.

4- الوعد: « تعليل هذا الترغيب والتّحبيب لمرضاة الله لأنّه يرى ويجازي »[3].

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾** "[4].

تضمّنت الأفعال الكلاميّة التّالية:

1- الأمر: في قوله: (يا أيّها الذين آمنوا أنفقوا ممّا رزقناكم)؛ أي الامتثال إلى أمر الإنفاق لأنّ الرّزق الّذي يكسبونه هو من عند الله سبحانه وتعالى.

2- الحث: في قوله: (من قبل أن يأتي يوم)؛ حثّ وترغيب في الإنفاق لأنّه ملازم لوقت معيّن ولا يمكن الاستدراك يوم القيامة[5].

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ**

1- الزمخشري، الكشاف، ص: 284.
2- الألوسي، روح المعاني، ص: 754.
3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 465.
4-البقرة: [254].
5- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 16.

وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [1].

تضمنت الأفعال الكلامية التالية:

1- التنبيه: في قوله: (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة)؛ هو فعل كلامي غير مباشر دال على الإخبار فالصلاة من أعظم الأعمال البدنية والزكاة من أفضل الأعمال المالية[2].

2- الأمر: في قوله: (يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا)، « فيه أمر مباشر بترك الربا لأنّ تركها امتثال لأمر الله »[3]؛ لأنّ الربا محرمة شرعا ففيها أخذ المكاسب بدون وجه حق.

3- التهديد والتخويف: في قوله: (فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله)؛ فالأولى حرب حقيقية كحروب الرّدة والثانية ليست حرب حقيقية وإنّما هي للتهديد والتخويف وأجمّع المفسرون على الحرب الحقيقية[4].

4- الترغيب: في قوله: (وأن تصدقوا خير لكم إن كتم تعلمون)؛ فيه ترغيب وتحريض على التصديق لأنّ تسقيط الدين على المعسّر فيه تفريج للكرب[5].

5- التحذير: في قوله: (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كل نفس ما كسبت)؛ في الآية فعل كلامي غير مباشر وهو التحذير من اليوم الآخر وأكدّ ذلك بلفظ(ترجعون) وذلك للتهويل[6]. « لأنّه في ترك المنهيات سلامة وفي فعل المطلوب ثواب والبشر كلهم يتّقون اليوم الآخر »[7]؛ أي لا بدّ على المؤمن أن يحذر المنهيات ويفعل ما أمر به ففي الامتثال سلامة وثواب.

1- البقرة: [277، 281].
2- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 94.
3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير ص: 93.
4- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 73.
5- ينظر: المرجع نفسه، التحرير والتنوير، ص: 96.
6- ينظر :المرجع نفسه، ص: 96.
7- المرجع نفسه، ص: 97.

3- الأفعال الكلامية التعبيرية:

تعريف التعبيريات: هي نوع من الأفعال الكلامية والتي تعكس شعور المتكلم ويشمل هذا الصنف أفعال السرور، الفرح، الألم، الحزن، التهنئة، الاعتذار، التعزية، الترحيب[1].

تنقسم التعبيريات إلى نوعين:

1- **التعبيريات الاجتماعية:** « وهي مرتبطة بوجدان المتكلم باشتراك مع المتلقي يكون هذا الأخير مشاركا ضروريا في الموقف التداولي.

2- **التعبيريات النفسية:** وهي تعبير عن الحالة النفسية للمتكلم وتقتضي مشاركة من المتلقي»[2]؛ وتتطلب وجود اشتراك بين المتخاطبين اجتماعيا ونفسيا.

قال تعالى: ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾** ﴾[3].

الفعل الكلامي في هذه الآية « فعل سخط وتهويل فالمتكلم هنا هو الله سبحانه وتعالى والمخاطبون هم المنافقون فقد شبّه الإسلام بالصيب الذي يحيي القلوب وشبّه الكفار بالظلمات وقد شبّه ما يصيبهم جرّاء كفرهم بالصواعق »[4]؛ فيه تصوير للمواقف وما يناسبها.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾** ﴾[5].

1- ينظر: محمود نخلة، آفاق جديدة، ص: 80.

2- كريم ناصح الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دار صفاء، عمان، الأردن، ط. 1، 2007، ص: 214.

3- البقرة: [19].

4- الزمخشري، الكشاف، ص: 79.

5- البقرة:[174].

تضمنت هذه الآية فعلا كلاميا هو « التحذير ممّا أحدثه اليهود في دينهم لأنّ اليهود حرّموا وحلّلوا حسب رغباتهم وحرفوا التوراة »[1]؛ وهو تنبيه للمسلمين من الوقوع في نفس الخطأ.

قال تعالى: ﴿...وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ...﴾ [2].

توفرت الآية على فعل الامتنان وفيه أمر بمقابلة النّعمة بالشكر لله[3].

قال تعالى: ﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾﴾[4].

يوجد فعل كلامي ألا وهو الامتنان ودلّت عليه جملة (والله غفور حليم)؛ وفيه امتنان على المؤمنين، والحليم هو الذي يمهل بتأخير العقاب[5].

قال تعالى: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ... ﴾ [6].

الفعل الكلامي « استفهام جاء بصيغة التعجب؛ أي أنّ الله يتعجّب من الذين لازالوا على الكفر مع أنّهم رأوا الحجة والبيان »[7].

قال تعالى: ﴿...قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ...﴾ [8].

في هذه الآية « فعل كلامي إخباري بصيغة التعجب فكيف يستخلف أهلّ الطاعة بأهلّ المعصية »[9].

1- البخاري، صحيح البخاري، ص: 68.
2- البقرة: [231].
3- ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 511.
4- البقرة: [225].
5- ينظر: الألوسي، روح المعاني، ص: 720.
6-البقرة: [28].
7- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ص: 100.
8- البقرة: [30].
9- الزمخشري، الكشاف، ص: 125.

قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ [1].

المتكلم هنا هو الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه الكريم ويخبره عن بني إسرائيل وحرصّهم على الحياة الطويلة، وفي الآية إخبار يقتضي التوبيخ على حبّهم للحياة بسبب سوء أعمالهم.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ [2].

جاء في هذه الآية الأفعال الكلامية التالية:

1- الندم: وهو فعل كلامي يعبّر عن ندم الكفار الذين تمنوا العودة إلى الدنيا بعد معرفتهم الحقيقة.

2- الضجر: في قوله: (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد)؛ وفيها تعبير عن الضجر والكره للطعام الواحد.

قال تعالى: "ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار"

جاء في الآيتين بعض الأفعال الكلامية نذكر منها مايلي:

1- الغضب: في قوله: (لا يكلمهم الله يوم القيامة)؛ وهي كناية عن الغضب.

2- الذم: (ولا يزكيهم)؛ أي أنّه لا يمدحهم وهم في طريقهم إلى النار لا محالة؛ لأنّه إذا نفيت التزكية أعقبها التوبيخ فهو كناية عن ذمّهم في ذلك الجمع إذ ليس يومئذ سكوت[3].

1- البقرة: [96].

2- البقرة: [174، 175].

3-ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 124.

3- التعجب: في قوله: (فما أصبّرهم على النار)« يندهش لشدة صبرهم فهؤلاء لا بدّ التعجب منهم لارتكابهم ما يؤدّي إلى النار دون مبالاة، وإنّما لا يوصف الله تعالى بالتعجب، لأنّ التعجب استعظام يصحبه الجهل، والله منزّه عن ذلك »[1].

4- الذم: في قوله: (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة) مبالغة ذمهم من الله لأنّهم اختاروا الضلال على الهدى.

قال تعالى: ﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ...** ﴾[2]؛ أي أنّ الله مدح المتصدقين عن صدق نية.

4- الأفعال الكلامية الوعدية:

تعريف الوعديات: وهي الالتزام بإنجاز أمر ما بالوعد أو التهديد أو التوعد ويكون الشرط المعّد هو قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به[3]؛ أي أنّ المتكلم لا يعد بما لا يستطيع الوفاء به.

1- أفعال الوعد والوعيد:

قال تعالى: ﴿ **خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴿٧﴾ ﴾[4].

الفعل الكلامي هنا غير مباشر وهو الوعيد؛ أي« أنّ أخبار الوعيد، في الكفار مشروطة بعدم العفو وإن لم يكن هذا الشرط مذكورا صحيحا، على أنّه يحتمل أن تكون تلك الجملة دعائية، أو إخبارية لكن الإخبار عن استحقاق الوقوع، لا عن الوقوع نفسه »[5].

1- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص: 335.
2- البقرة: [271].
3- ينظر: هاشم طبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، ص: 30.
4- البقرة: [07].
5- الالوسي، روح المعاني، ص: 206.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴿٩٨﴾ ﴾ [1].

« هنا يوجّه الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم للرّد على اليهود بسبب عدم إيمانهم وأن يخاطبهم الرسول في سبب عداوتهم لجبريل وإقامة الحجّة عليهم »[2].

وكذلك يوجد فعل كلامي غير مباشر هو التهديد والوعيد لأنّ بني إسرائيل اتخذوا من جبريل عدوا لهم، « من كان عدوا لجبريل فلا يعاده وليعاد الله تعالى »[3]؛ أي من عادى جبريل فالله عدو له « ولقد أثنى الله على جبريل لأنّه ناقل الرسالة بينه وبين أشرف الخلق وذمّ اليهود لأنّهم أبغضوا من كان بهذه المنزلة الرفيعة عند الله »[4] فجبريل ذو منزلة رفيعة عند الله.

ومحتوى هذه القضية أنّ بني إسرائيل استحقوا التوبيخ العقاب، والشرط المعد هو قدرة المتكلم على التزام ما يعد به [5] لأنّ اليهود لم يلتزموا بوعودهم فوبخهم الله.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [6].

في هذه الآية بعض الأفعال الكلامية منها:

1- الترغيب: في قوله تعالى: (وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله)؛ فيه ترغيب وتوكيد وأمر بالصلاة والزكاة.

1- البقرة: [97، 98].
2- الرازي، التفسير الكبير، ص: 210.
3- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 621.
4- الألوسي، روح المعاني، ص: 461.
5- ينظر: هاشم طبطباني، نظرية الأفعال الكلامية، ص: 31.
6- البقرة: [110].

2- الوعد والوعيد: يوجد فعل كلامي يتضمن معنى الوعد للمؤمنين وفي مقابله وعيد للكافرين[1].

قال تعالى: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾** ﴾[2].

تتضمن الآية الأفعال الكلامية التالية:

1- الوعد: وفيه إخبار عن فعل كلامي تضمّن معنى الوعد في قوله: (فلنوليك قبلة ترضاها)؛ أي بمنحه قبلة يحبها ويفضلها « فلنعطيك أو لنمكننّك من استقبالها »[3]؛ لأنّ أفعال الوعد تصنّف ضمن الالتزام بهذه الوعود، « ولأنّ بلوغ الوعد المطلوب به أنس التواصل »[4]؛ أي أنّ بلوغ الرجاء راحة للنفس وسكينة.

2- الوعد والوعيد: فيقوله: (وما الله بغافل عمّا يعملون)؛ « ففيها وعد ووعيد للفريقين فإن كان خطابا للمسلمين فهو وعد وإن كان لليهود فهو وعيد وتهديد »[5].

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾** ﴾[6].

في الآية أفعال كلامية جاءت كالتالي:

1- التحذير: تحذير للمسلمين ممّا أحدثه اليهود في دينهم من تحريف.

1- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 672.

2- البقرة: [144].

3- الزمخشري، الكشاف، ص: 202.

4- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 23.

5- الرازي، التفسير الكبير، ص: 136.

6- البقرة: [174].

2- الوعيد: في قوله: (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلّا النار)؛ فعل كلامي غير مباشر دلّت عليه الآية بصيغة الإخبار.

قال تعالى: ﴿ **فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴿٢٠٩﴾ ﴾[1].

الوعيد: في الآية فعل كلامي غير مباشر بمعنى إن عصيتم أو كفرتم أو أخطأتم فاعلموا أنّ الله محاسبكم.

قال تعالى: ﴿ **...وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ...** ﴾[2].

الوعد والوعيد: فعل كلامي غير مباشر يدّل على أنّ الوعد للمصلح و الوعيد للمفسد.

قال تعالى: ﴿ **...وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ** ﴿٢٣٧﴾ ﴾[3].

الوعد: « تعليل الترغيب في عدم إهمال الفضل بين الناس لأنّ العفو والفضل فيه مرضاة لله تعالى»[4]؛ لأنّ الفضل يطهّر القلوب وينشر التسامح والتصالح.

قال تعالى: ﴿ **لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ...** ﴾[5].

فعل كلامي تمثل في الوعد والوعيد: وهما فعلان غير مباشران فالملك لله سبحانه دال على القدرة ومنه فغاية الوعد للمطيعين وغاية الوعيد للعاصين.

1- البقرة: [209].

2- البقرة: [220].

3- البقرة: [237].

4- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 465.

5- البقرة: [284].

5- الأفعال الكلامية الإيقاعية:

تعريف الإيقاعيات: هي الأفعال التي يحصل بها تغيير للواقع بمجرد النطق بها وإجراء العقود وفسخها يمثّل أهمّ نقطة في بحث الأفعال الكلامية ويقال أنّها صيغ هي في الأصل نقلت إلى معنى الإنشاء؛ أي أنّها إخبارات على أصلها اللغوي[1].

وهذه الأفعال خصّصها الأصليون في المعاملات بين الناس والعلاقات القائمة بينهم.

وإنّه بمجرد النطق بهذه الأفعال، « تكون قد أوقعت فعلا وهذا النّوع يتسّع ليشمل أفعال العقود والبيع والشراء والهبة والوصية والوقف والإجازة والإبراء من الدين والتنازل والزواج والطلاق والإقرار والدعوة والإنكار والقذف والوكالة، وهذه يقع فيها الفعل بمجرد النطق بلفظها كما نصّ عليه الفقهاء »[2]؛ هي أفعال تمسّ كلّ أنواع المعاملات الإنسانية.

وتعد هذه الأفعال أفعالا كلامية مباشرة ونادرا ما تكون في الاستعمال العادي لأنّها تقتصر على الأفعال المؤسساتية أو التشريعية مثل: التوكيل، التفويض، الوصية، التوريث، الإيجاز وغيرها إذا استخدمت هنا بشكل غير مباشر أدّت إلى الغموض وضياع الحقوق[3]

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ...**﴾[4].

في هذه الآية فعل كلامي يتضمن الوصية للمطلّقة وأكدّت بقول، (وللمطلّقات متاع بالمعروف)، فهو يتضمن، « حكما تشريعيا إسلاميا خالصا مصدره سلطة مطلقة وهي السلطة

1- ينظر: القرافي، الفروق وأنوار البروق، نص. خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1998، ص: 28.
2- محمد مصطفى شلبي، المدخل إلى الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، بيروت، ط.10، 1985، ص: 434.
3- ينظر: محمود نخلة، أفاق جديدة، ص: 83.
4- البقرة: [213].

الإلهية، وقد أمر الله الامتثال لهذا الحكم وقد أشار إلى التحذير من مخالفة أمره في قوله: (والله عزيز حكيم)؛ أي غالب على أمره »[1]؛ فيه أمر مباشر مفروض موجّه للتطبيق.

قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[2].

وهنا المراد هو الوصية عند الموت وهو فعل كلامي يتضمن حكما مستقلا وذلك بالوصية عند الموت بجزء من المال للوالدين والأقربين من أجل انتشار التراحم والمحبة والحفاظ على الضعفاء وحماية الأقربين.

قال تعالى: ﴿... فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ... ﴾[3].

وهو فعل كلامي إيقاعي تقريري غرضه حمل المخاطب على الامتثال لأمور التشريع وقد دلّت الآية على المراهنة حال السفر ولو بدون كتابة والرهن دليل على الحبس فالمدين بيد الدائن إلى يستردّ دينه وقد اشتهرت الرهانات قديما عند العرب حتى رهنوا أبناءهم[4], والرهان مباح.

قال تعالى: ﴿... وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا... ﴾[5].

جاءت هذه الآية ردّا على ادعاء المساواة بين البيع والربا وهو حكم قاض بإحلال البيع وتحريم الربا وفيه فعل إيقاعي تقريري، « حيث دلّ بمنطقه الصريح على جواز البيع وتحريم الربا، فهي دلالة أولّية ناتجة عن العلاقة بين دال ومدلول هذه الآية »[6]؛ والغرض من هذا الفعل هو إقرار المعاملات المشروعة والتي هي البيع.

1- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 463.
2- البقرة: [180].
3- البقرة: [283].
4- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 120.
5- البقرة: [275].
6- الطاهر بن خويا، البحث الدلالي عند الأصوليين، ص: 32.

قال تعالى: ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ... ﴾[1].

في الآية فعل وإعلان من الله على تحريم القتال في الأشهر الحرم لأنّ المشركين اعتدوا في شهر حرّم فيه القتال فأمر الله المسلمين قتالهم اقتصاصا منهم، « معناه جواز قتالهم في الشهر الحرام »[2]؛ لأنّه إذا قاتلهم اليهود في الأشهر التي حرّم الله على المسلمين الرّد عليهم بالمثل.

قال تعالى: ﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾[3].

« في الآية فعل إيقاعي تقريري لأحكام شرعية؛ أي أنّه لا بدّ على المرأة مطاوعة زوجها لانّه الحامي لها في الشدائد ولهذا صار على النساء درجة للرجال في مبالغة الطواعية »[4].

قال تعالى: ﴿... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [5].

هنا فعل كلامي إيقاعي يتحقق بمجرد النطق به لأنّه أمر إلهي إلى المأمور فيمتثل له، وغرض هذا الفعل إظهار قدرة الله على الخلق السريع أي يقول له: إيجد فيوجد، والظاهر أنّ القول والمقول، والمسبب هنا تمثيل لسرعة وجود الكائنات إذا تعلقت إرادة الله بذلك[6].

أي أنّ أمر الخلق يسير بالنسبة لعظمة الله سبحانه وتعالى وبمجرد إشارة منه يخلق ما يشاء، فصياغة الأفعال في القرآن الكريم مختلفة الدلالات باختلاف السياقات وتنوعها، وكثرة القصص والمواقف أدّت إلى هذا التنوع والثراء اللغوي الحقيقي والمجازي لخطاب الله سبحانه وتعالى.

1- البقرة: [194].
2- الزجاج، معاني القرآن، ص: 228.
3- البقرة: [228].
4- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ص: 462.
5- البقرة: [117].
6- ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص: 687.

خاتمة:

لقد أولى فلاسفة اللغة العادية اهتماما كبيرا بالجانب الاستعمالي للغة، كما عالجوا جملة من المواضيع تعدّ من صميم البحث التداولي كالمقصدية، العلاقة بين اللغة و المتكلم، كما أقرّوا بأنّ الاستعمال العادي للتعبيرات اللغوية هو الوسيلة الوحيدة للكشف عن المعاني المخبوءة، ثم إنّ التداولية مصطلح فضفاض حمّال أوجه لهذا اختلف الدارسون في تحديد ماهيته و ضبط حدوده و بيان أقسامه، فضلا عن التمثيل له تبعا لما يصدرون عنه من مناهج مختلفة، فما من تعريف إلّا و له منطلقات نظرية تسّير و تضبط إجراءاته ضبطا منهجيا. ومن هذا كلّل بحثنا بالنتائج التالية:

- من رحم الفلسفة التحليلية و تحديدا فلسفة اللغة العادية بدأ الاهتمام بمقاصد المتكلمين و باستعمالات اللغة و بدأت بذلك المقاربة التداولية تسلك طريقها نحو النمو والازدهار.
- قوام الدرس التداولي مجموعة من الأدوات الإجرائية التي يمارس بها المتخاطبون طقوس التواصل الذي لن يحقق الهدف المرجو منه إلاّ إذا ارتاد آفاق الفعل والممارسة، لذلك اعتمد الدرس التداولي على شبكة تحليل معاصرة تعتمد مفاهيم من قبيل، الأفعال الكلامية، الافتراض المسبق، نظرية للملاءمة، الاستلزام التخاطبي.
- تحتل الافتراضات المسبقة أهمية قصوى في عملية التواصل، فهي تتيح لنا إمكانية توضيح بعض علاقات التضمين بين جمل النص.
- إنّ المواصفات الدلالية في لغة ما، هي التي من شأنها أن تحدد القوة الإنجازية
- إنّ قوة المنطوق الإنجازية هي جزء مكمل لمعناه، و هو ما يجعل المعنى أوسع من القوة لأنّه يضم القوة و المحتوى القضوي معا.
- إنّ العملية التحاورية لا تقوم من فراغ بل تستند إلى خلفيات تعود إلى طبيعة المتحاورين و مجموعة من المبادئ و المعارف المشتركة.
- تعتبر التداولية ميدانا لغويا مكملا للسانيات البنيوية، فهي تحاول فهم الاستعمال اللغوي من خلال سياقات غير لغوية؛ أي السياقات الاجتماعية و الثقافية ومقاصد المتكلمين وعلاقة العلامات

بمستعمليها و تستعين بالعناصر اللغوية المستعملة في تعديل القوة الإنجازية، ومن ثم تعتبر الأفعال الكلامية لب التداولية فهي الوحدة الأساسية في الخطاب، و التداولية لا تهتم كثيرا بمعنى الجملة إنّما تبحث في ماذا يعني المتكلم بتلك الجملة.

- إنّ نظرية الأفعال الكلامية امتداد لنظرية الخبر و الإنشاء في التراث العربي.

- حاولت هذه الدراسة أن تكشف عن بعد تداولي هو الاستلزام الحواري و شروط الملاءمة في الخطاب القرآني.

- يمتلك المنهج التداولي آليات تؤهله لتحليل الخطابات بجميع أنواعها دينية، قانونية، سياسية، أدبية

- الأفعال الكلامية غير المباشرة هي الأكثر استعمالا في الخطاب القرآني، فقد غلب استعمال القوة الإنجازية الضمنية في سورة البقرة أكثر من القوة الإنجازية الصريحة.

- دلّت الأفعال الإخبارية على قوة إنجازية مباشرة و أخرى مستلزمة مقاميا، المباشرة هي: الوصف، الإخبار، التقرير.

أمّا المستلزمة هي النفي، الإثبات، التأكيد، المدح، التعظيم، الذم، التحقير، الوعد، الوعيد، الجزاء، الدعاء، الترهيب، الترغيب، الإنكار، التذكي، الاستبعاد .

- التوجيهيات تندرج تحتها مجموعة من الأفعال الكلامية مثل: الأمر، النهي، الاستفهام، النداء و يتضمن كل فعل من هذه الأفعال الكلية أفعالا فرعية تفهم من السياق.

- الوعديات أفعال كلامية هي: الوعد، الوعيد، التهديد، التخويف، التحذير.

- جاءت التعبيريات في القرآن الكريم بنوعيها: نفسية واجتماعية ومنها: المدح، الذم، التمني، الغضب، التوبيخ، الرجاء، الندم، التحقير، المواساة.

- الإيقاعيات وتتحقق من خلال أفعال كلامية إيقاعية ومن هذه الأنواع نذكر مايلي: الوصية، الرهن، البيع، الربا، الإكراه، القصاص.

- استعمال فعل الامتنان في القرآن الكريم بكثرة لأنّ نعم الله كثيرة على العباد و لأنّه غالبا ما يقترن فعل التذكير بالامتنان.

- احتلت الإخباريات المرتبة الأولى من حيث العدد و ذلك لكثرة العرض لأخبار الأمم و قصص الأولين.

- ثم تلتها الأفعال التوجيهية و خاصة الأمرية و ذلك لتعدد الأوامر الإلهية لنقل الأحكام الشرعية و ما تقتضيه هذه الأوامر من وجوب و ندب و إباحة وتشريع.

- الخطاب القرآني شبيه بالأطر المؤسساتية فصاحب الخطاب هو المشرّع الحكيم و هو صاحب السلطة المطلقة.

- من مميزات الخطاب القرآني تعدد وجهات الخطاب و هذا من وجوه الإعجاز فيه.

- إنّ الصيغة اللغوية الواحدة تتولد منها معان مختلفة.

- محاولة بناء نظرية عربية موازية لنظرية "سيرل" في الأفعال الكلامية انطلاقا مما قدّمه العرب في أقسام الكلام و ذلك من خلال البلاغة، الأصول، النحو، الكلام.

وأخيرا نتمنى أن نكون قد وفقنا فيما قدّمناه من خلال عملنا هذا، ونرجوا أن نكون قد أصبنا العمل الصواب و القول السديد.

أ- مفهوم التداولية

ب- الأصول الفلسفية للفكر التداولي

ج- أسس التداولية: (الاستلزام الحواري، الإشاريات، الأفعال الكلامية).

د- التداولية في الدراسات العربية القديمة

هـ- علاقة التداولية بالعلوم الأخرى

أ- الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية

ب- تصنيف الأفعال الكلامية

ت-الأفعال الكلامية في الدراسات العربية

ج - الدلالة عند الأصوليين.

أ- الأفعال الكلامية الإخبارية.

ب- الأفعال الكلامية التوجيهية.

ج – الأفعال الكلامية التعبيرية.

د – الأفعال الكلامية الوعدية .

هـ- الأفعال الكلامية الإيقاعية

مقدمة

الفصل الثاني

فهرس
الموضوعات

الفصل
الثالث

خاتمة

فهرس الأعلام

فهرس الآيات
القرآنية

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، .
2. ابن القيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة، طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، 1973.
3. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تح.أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
4. ابن خلدون ، المقدمة، دار القلم، بيروت، لبنان، 1992م، ط.11.
5. ابن دقيق العيد المصري، أحكام الأحكام.
6. ابن يعقوب المغربي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح.
7. أبو إسحاق الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة ،تح. عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
8. أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تح. علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، 1987.
9. أحمد الجنابي، منهج الخليل في دراسة الدلالة القرآنية في كتاب (العين).
10. أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، الرباط، المغرب، منشورات عكاظ، 1989م.
11. أحمد المتوكل، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1، 1985.
12. أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.
13. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1988.
14. إدريس بن خويا، البحث الدلالي عند الأصوليين (الشوكاني)، مطبعة بن سالم، الأغواط، الجزائر، ط.1، 2009.
15. الألوسي، روح المعاني، تح. علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1.
16. الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، دار الفكر، بيروت.

17. أودينة سليم فلسفة التداوليات الصورية و أخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008،2009.

18. البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحدود دار الفكر، بيروت، لبنان، 1981.

19. بشار إبراهيم نايف، البنية الزمنية في القصة القرآنية، دار الكتب العلمية، ط. 1، 2011.

20. بهاء الدين محمد مزيد، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تبسيط التداولية، دار شمس للنشر، القاهرة، 2010م، ط.1.

21. التفتزاني، المطول في شرح تلخيص المفتاح للقزويني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1944.

22. الجاحظ، البيان و التبيين، تح. عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط.1.

23. الجيلالي دلاش، مدخل إلى السيميائيات التداولية، تر. محمد يحيا تن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط. 1، 1994.

24. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مؤسسة الكتب الثقافية، ط.3.

25. الدسوقي، شرح مختصر التفتزاني.

26. رضوان الرقبي الاستدلال الحجاجي التداولي، مجلة عالم الفكر، مج40 ،2011.

27. رضي الدين الاستربادي، شرح الكافية, تح. رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، 2000م.

28. الزجاج، معاني القرآن و إعرابه، تح. عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004.

29. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح. محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، 1957.

30. الزمخشري، الكشاف، تص. مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، ط 3، 1987.

31. السبكي، جمع الجوامع .

32. السبكي، عروس الأقراح، مصطفى البابي الحلبي، مصر.

33. سعيد بحيري، دراسات لغوية تطبيقية بين البنية و الدلالة، مكتبة الآداب، 2005م.

34. سعيد جبار، الخبر في السرد العربي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط. 1، 2004.

35. السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 2، 187.

36. السكاكي، مفتاح العلوم، تح. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2000م.

37. السيد ابراهيم، نظرية الرواية.

38. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط. 11، 1985.

39. السيوطي، المزهر في علوم اللغة وعنوانها، تح. فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1، 1998.

40. الشريف الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية, بيروت.

41. صابر حباشة ، أسئلة الدلالة و تداوليات الخطاب مقاربات عرفانية تداولية ، دار زهران للنشر، عمان، الأردن ، 2010م.

42. طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية، الكويت، د. ط، 1994.

43. الطاهر بن عاشور، التحريم و التنوير، الدار التونسية للنشر و التوزيع،1997.

44. عبد الحميد طهماز، الإسلام لله تعالى فبي سورة البقرة، دار القلم، دمشق، ط. 1، 1998.

45. عبد الحميد طهماز، الإسلام لله تعالى في سورة البقرة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط.1، 1993.

46. عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة.

47. عبد السلام هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط.5، 2001م.

48. عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تص. محمد عبده، دار المعرفة، بيروت، 1981.

49. عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط.1، 2004م.

50. عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مطبعة الاستماع، الاسكندرية، مصر.

51. العلوي، الطراز، تح. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط. 1، 2002.

52. علي حاتم، البحث الدلالي عند المعتزلة.

53. عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، دار الأمل للطباعة، الجزائر، 2013.

54. الغزالي (أبو حامد)، المستصفي من علم الأصول، المطبعة الأميرية، بولاق.

55. فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث، بيروت، ط3.

56. فندريس، اللغة.

57. القرافي، الفروق وأنوار البروق، نص. خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1998.

58. القرطبي الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

59. القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح. عبد الحميد هنداوي.

60. كريم ناصح الخالدي، الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دار صفاء، عمان، الأردن، ط. 1، 2007.

61. كمال بشر، دراسات في علم اللغة.

62. لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً مقاربة تداولية.

63. المبرد، المقتضب، تح. عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، د ت.

64. محمد أحمد أبو عامود، البلاغة الأسلوبية، مكتبة الآداب، ط. 1، 2009.

65. محمد بن علي الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تح. عبد القادر حسين، دار النهضة، القاهرة، مصر، د ت.

66. محمد علي، مختصر تفسير بن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط.7، 1981.

67. محمد مصطفى شلبي، المدخل إلى الفقه الإسلامي، الدار الجامعية، بيروت، ط.10، 1985.

68. محمود طلحة، تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب، الأردن، ط. 1، 2012.

69. محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة، القاهرة، 2002م.

70. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.1، 2008.

71. هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان.

72. هيثم سرحان، آفاق اللسانيات، دراسات، مراجعات، شهادات، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011، ط1.

73. وهبة الزحيلي، أصول الفقه الإسلامي.

74. يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار اللغة للنشر، مكة المكرمة، ط.1.

الكتب المترجمة:

1. آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر. سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.1، 2003.

2. أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، تر، عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، 1991م.

3. بيار جيرو، السيمياء، تر، أنطوان أبي زيد، منشورات عويدات، بيروت، ط.1، 1984م.

4. جون سيرل، الفعل واللغة والمجتمع، تر. سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، لبنان، ط.1، 2006م .

5. فليب يلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر. صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 2007، ط.1.

المجلات:

1. إدريس مقبول، في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية) مج. 28، العدد، 05، 2014.

2. بلقاسم دفة، استراتيجية الخطاب الحجاجي، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر.

3. بودريس درهمان، مدخل إلى النظرية التداولية، مجلة علوم التربية.

4. جميل حمداوي، العربية و الترجمة، مجلة علمية تعنى بعلوم اللغة و الأدب، المنظمة العربية للترجمة،2012، العدد، 09.

5. عبد الرحيم خير الله عمر الشريف، أصل الاستدلال بعادة العرب لمعرفة القرآن، مجلة الشريعة، ع، 94، سبتمبر2013.

6. لطيف حاتم عبد الصاحب الزاملي، الكلام عملاً مقاربة تداولية، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج. 16، ع.1، 2013م.

الرسائل المخطوطة:

1. عماد يحي الحيالي، أشواق محمد إسماعيل النجار، الاقتضاء التداولي و أبعاده الخطابية في تراكيب القرآن الكريم، جامعة الموصل، كلية الآداب.

2. محمد مدور، الأفعال الكلامية في القرآن الكريم، دراسة التداولية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2013-2014.

المعاجم:

1. أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.1، مج.5.

المواقع الإلكترونية:

https://drmfarhan.wordpress.com 05/05/2016 10:25

فهرس الأعلام:

1- شيشرون: ماركوس توليوس كيكرو، كاتب روماني وخطيب روما الكبير ولد سنة (106 ق.م)، صاحب إنتاج ضخم ويعتبر نموذجا مرجعيا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، توفي سنة (44 ق.م)، لديه عدة أبحاث في البلاغة والسياسة والفلسفة.

2- ويليام جيمس: فيلسوف أمريكي ولد بنيويورك سنة (1842م)، وهو من رواد علم النفس الحديث وعلم النفس التربوي والديني والتصوف والفلسفة البراغماتية، وهو فيلسوف الحرية، من مؤلفاته: الإرادة، الاعتقاد، مبادئ علم النفس، البراغماتية، توفي سنة (1910م).

3- غوتلوب فريجة: هو رياضي ومنطقي وفيلسوف ألماني ولد سنة (1848م)، يعد أشهر من اهتم بمنطق الرياضيات الحديثة والفلسفة التحليلية، كان لعمله تأثير كبير في تأسيس فلسفة القرن العشرين وفي الدلاليات، توفي سنة 1925م).

4- فرانز بواس: هو ألماني الأصل أمريكي الجنسية ولد سنة (1858م)، متخصص في علم الأنتروبولوجيا (علم الإنسان الثقافي)، توفي سنة (1942م).

5- إدموند هوسرل: فيلسوف ألماني ولد في مورايا في تشيكوسلوفاكيا سنة

1859م)، ويعد مؤسس الظاهرتية لديه عدة مؤلفات منها: فلسفة علم الحساب، بحوث منطقية، الفلسفة علم دقيق، توفي عام (1938م).

6- جون ديوي: هو أمريكي الأصل ولد سنة (1859م)، كان مرب وعالم نفس وزعيم من زعماء الفلسفة البراغماتية ومن أول المؤسسين لها، توفي سنة (1952م).

7- إدوارد سابير: هو لساني أمريكي ولد بألمانيا سنة (1884م) ، يعد من أبرز المساهمين في تطور علم اللسانيات في بداياته، وهو تلميذ فرانز بواس اهتم بعلاقة علم الإنسان باللسانيات، توفي سنة (1939م).

8- لودفيغ فينجشتاين: فيلسوف نمساوي ولد سنة (1889م)، هو من أكبر فلاسفة القرن العشرين، عمل في أسس المنطق والفلسفة والرياضيات وفلسفة الذهن وفلسفة اللغة توفي سنة (1951م).

9- رومان ياكبسون: هو عالم لغوي وناقد أدبي روسي ولد سنة (1896م)، من رواد المدرسة الشكلانية الروسية ومن أهّم علماء اللغة في القرن العشرين، توفي سنة (1982م).

10- إميل بنفينيست: هو لساني وسيميائي فرنسي ولد سنة (1902م)، عرّف بأعماله المنصبة على اللغات الهندو أوروبية، توفي سنة (1976م).

11- أوستين: جون لانشوأوستين: ولد سنة (1911م)، كان فيلسوف لغة بريطاني، ويعرف في الأساس بأنّه واضع نظرية الأفعال الكلامية، توفي سنة (1960م).

12- ريتشارد رورتي: ولد في نيويورك سنة (1931م)، لديه مسار طويل في التدريس، اشتغل في الأدب والفلسفة والأدب المقارن، كان انتماؤه من البداية إلى تيار الفلسفة التحليلية، توفي سنة (2007م).

13- جون سيرل: ولد في د نفر بولاية كولو رادو بأمريكا سنة (1932م)، وهو فيلسوف معاصر تخصص في فلسفة اللغة وفلسفة الذهن كما أسهم في إغناء نظرية أفعال الكلام التي أسسها أوستين في كتابه (كيف ننجز الأشياء بالكلمات).

14- دان سبربر: هو فرنسي الأصل ولد سنة (1942م)، اهتم بعلم الأنتروبولوجيا واللسانيات التطبيقية.

فهـــــرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة .....أ

الفصـــل الأول

اللسانيـــات التداوليـــــة

مفهوم التداولية 04

الأصول الفلسفية للفكر التداولي 07

أسس التداولية: (الاستلزام الحواري، الإشاريات، الأفعال الكلامية). 11

التداولية في الدراسات العربية القديمة 19

علاقة التداولية بالعلوم الأخرى 22

الفصـــل الثانـــي

نظريـــة الأفعـــال الكلاميـــة

الأفعال الكلامية في الدراسات الغربية.....36

تصنيف الأفعال الكلامية 41

الأفعال الكلامية في الدراسات العربية.....49

الدلالة عند الأصوليين. 64

الفصـــل الثالـــــث

أنواع الأفعــال الكلاميـــة فـــي ســورة البقـــرة

الأفعال الكلامية الإخبارية. 76

الأفعال الكلامية التوجيهية..... 106

الأفعال الكلامية التعبيرية. 120

الأفعال الكلامية الوعدية..... 123

الأفعال الكلامية الإيقاعية..... 126

خاتمة 131

فهرس الآيات..... 135

فهرس أسماء الأعلام..... 137

مكتبة البحث 139

فهرس الموضوعات.